9

(الضوء و الماء كل الحكاية)

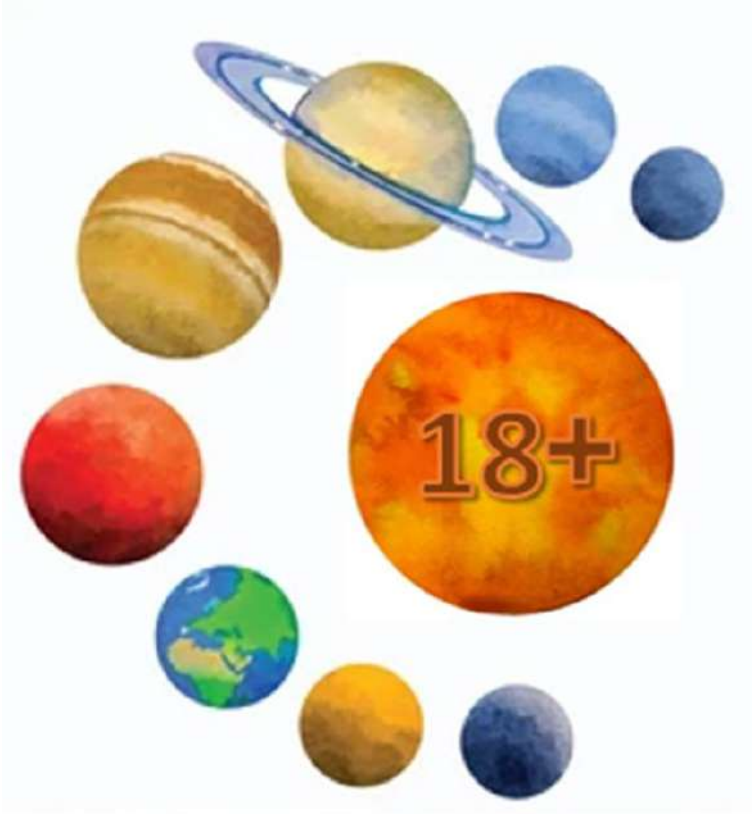

كتاب يقارب مغالطات شائعة

د. غفار محمد

... 9

الإهداء :

إلى كل باحث عن الحقيقة يأبى الوقوع
في فخّ مغالطات الحياة ..

... 9

محتوى الكتاب :

- مغالطة قطة شرودنغر (مفارقات علمية)
- مغالطة العقل الكونيّ (نسيج ، موجات و قليل من الكمّ)
- مغالطة الله كلّ لا جزء (الأدلة الانتقائية)
- مغالطة عين (1000 غيغا بكسل)
- مغالطة انكماش الزمن (الوقت الشبحي)
- مغالطة رقم 9 (رمضان و أيلول)
- مغالطة الأخوية (ما بين يسوع و ست)
- مغالطة الكوكب المضجر (ما خفي كان أعظم)
- مغالطة فلسفية (الضوء و الماء كل الحكاية)

... 9

قطة شرودنغر

(مفارقات علمية)

= لماذا يبدو عليك الغم يا صديقي .. عساه خيراً ؟!

= الدولة تريد إنشاء سد قرب قريتي و تم إبلاغ كل سكان القرية بإخلائها لأنها ستغمر بالمياه ..

= إنها مشكلة كبيرة بالفعل ..

= قالوا أن السد سيحل مشاكل كثيرة لكل القرى المحيطة به ، لكن ما ذنب قريتنا لأن تكون هي كبش الفداء في هذه العملية ؟! هل يجوز التضحية بشخص مقابل حياة آخرين ؟! هل هذا شرعي و قانوني ؟

= إنك تطرح مفارقة سبق لغيرك أن تطرق إليها من قبل .. إنها مفارقة شهيرة تدعى **مفارقة القطار** ..

= لم أفهم .. علامَ تنص ؟!

= تقول هل يجوز لقطار أن يدهس خمسة أشخاص، إذا أمكن تحويل مساره لدهس شخص واحد فقط.

هل يلتزم القطار بمساره و يقتل خمسة أم يخرج عن مساره و يقتل شخص واحد .. هل الكمية تلغي النوعية و الكثرة تقمع الجوهر .. فقتل شخص هو كارثة بلا شك ، لكن هل تصبح مبررة في حال كان ذلك في سبيل إنقاذ حياة أكثر من شخص ؟!

= أي كما يحدث في قريتنا ؟

= بالضبط .. و سيبقى هذا السؤال مفارقة بلا جواب لأن كلتي الحالتين لها ما يبررها ..

****

في الحياة الروتينية العادية كثيراً ما تكون العقبات التي نصادفها واضحة كالهواء عقب هطول المطر .. **الصواب بيّن و الباطل بيّن** .. و حتى إن احتال البعض عليهما لتحصيل المكاسب الذاتية تبقى الحقيقة جلية ، في حين يلقب هؤلاء بالمحتالين .. لكن توجد مواقف محددة في الحياة تصبح فيها هذه **المعادلة ضبابية و مبهمة** فلا صواب مؤكد و لا باطل لا شك فيه .. معضلات تقبل أكثر من رأي و أكثر من حل و وجهة نظر فتسمى **مفارقات** .. و في الحقيقة هذه المساحة من الحياة شيقة و ممتعة لأبعد الحدود ، لأنها تختبر العقل و الضمير و تتحدى المنطق وحيد الاتجاه على نحو غير معتاد أو مألوف .. لتصبح نظرية الحق الواضح و الباطل

الواضح مجرد مغالطة لا أكثر .. فما قصة هذه المفارقات العجيبة بالضبط و كيف زلزلت أركان المنطق البشري بهدوء غريب ..

هذا ما سنحاول الإجابة عليه خلال الصفحات التالية و ذلك بالتطرق إلى مغالطتنا من زاويتين شيقتين :

① **ما هي المفارقة ؟ ..**

② **أشهر المفارقات ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نقف على الحافة المترنحة بين الصواب و الخطأ .. بين الحق و الباطل .. بين المنطق و اللامنطق ..

أولاً ، ما هي المفارقة :

المفارقة، في جوهرها، ليست مجرّد لغزٍ منطقي أو تناقضٍ لغوي، بل هي الشرارة التي تشتعل عند حدود العقل، حين يصطدم المنطق بجدار اللايقين، وحين تتقاطع الحقيقة مع نقيضها في لحظة واحدة. إنّها تلك اللحظة التي يتوقّف فيها الذهن مذهولًا أمام مشهدٍ يبدو معقولًا وغير معقولٍ في آنٍ واحد، فتضطرب المفاهيم كما تضطرب أمواج البحر في عاصفة عاتية. المفارقة ليست خللًا في الفكر، بل مرآة تُظهر عمق الإنسان وعجزه معًا، فهي تُذكّرنا بأنّ العقل مهما بلغ من الدقّة،

يبقى طفلًا يحاول رسم الكون بأصابع من الطين.

تعود جذور المفارقة إلى فجر **الفلسفة الإغريقية**، حين وقف **زينون** متحديًا الحسّ والعقل معًا، ليثبت أن الحركة - تلك البديهية المطلقة - ليست ممكنة منطقيًا.

ومنذ ذلك الحين، أصبحت المفارقة رفيقةً لكل فكرٍ يحاول أن يلمس المطلق، أكانت في الفلسفة أو العلم أو الأخلاق أو اللغة. فالفلاسفة رأوا فيها طريقةً لهزّ يقين العقول الجامدة، والعلماء وجدوها بابًا ينفتح على عوالم لم تكن تُرى من قبل. إنّها كالمحرّك الخفي الذي يدفع

الإنسان إلى التساؤل الدائم، لأنها تكشف ما بين الخطأ والصواب من مسافةٍ رمادية تنبض بالحياة.

و سُمِّيت مفارقة لأنها تفارق المألوف و المنطقي، وتخرق الخط المستقيم الذي يسير عليه التفكير العادي. فهي لا تُبطل العقل، بل تتجاوز حدوده. أصل الكلمة في اللاتينية من **paradoxon** ، أي **ما يتجاوز الرأي المعتاد أو يعارض التوقّع**. ولأنها تحمل في جوفها نقيضها، فهي تشبه الكلمة التي تنكر ذاتها ، أو الحقيقة التي تلد وهمها. في المفارقة، يصبح النور ظلًّا، والظلّ نورًا، والفكر يلتف حول نفسه كما يلتف الثعبان على ذيله، لا ليموت، بل ليبعث نفسه من جديد.

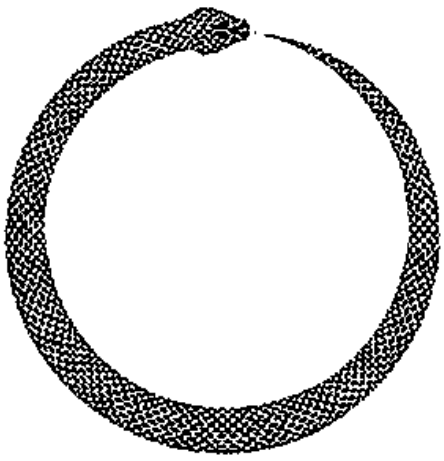

إنّ المفارقة هي لغة الوجود حين يريد أن يسخر من يقين الإنسان، وهي النَفَس الغامض الذي يجعل الحقيقة أكثر عمقًا من ظاهرها. إنها دعوة لأن نرى المزدوج في الواحد، والمستحيل في الممكن، واللغز في ما توهمناه واضحًا. فحيث تنكسر القاعدة، يبدأ الإبداع؛ وحيث ينهار المنطق، يبدأ الوعي في التمدّد. لذلك ستظل المفارقة - منذ زينون حتى شرودنغر، ومن سقراط حتى أينشتاين - ليست مجرد تناقض، بل بوابة إلى فهمٍ أعمق لما وراء الفهم ذاته.

ثانياً ، أشهر أنواع المفارقات :

في الحقيقة المفارقات فضاء شاسع لا مجال للخوض في أروقته كلها في مغالطة مرهونة بعدد صفحات محدد ، لكن لعل أشهر المفارقات و أكثرها غرابة هي التالية :

❁ مفارقة الكذبة الصادقة (بينوكيو):

لنفترض أن لدينا شخص يقول عن نفسه :

(كل كلامي كذب)

فإن كان صادقاً في جملته فجملته غير صحيحة و هو لا يكذب دائماً ، وإن كانت جملته غير صحيحة فهو صادق

لا يمكن تصنيف هذه الشخص ضمن الصدق أو الكذب دون الوقوع في تناقض.

هذه المفارقة تكشف حدود المنطق اللغوي، وتثير أسئلة حول طبيعة الحقيقة واللغة.

منها نشأت نظريات في المنطق الرياضي مثل **نظرية غودل بعدم الاكتمال.**

❁ مفارقة زينون :

يقول زينون إن حركة الأجسام مستحيلة لأن العداء يجب أن يقطع نصف المسافة دائمًا قبل الوصول.

وبذلك تصبح الحركة سلسلة لا نهائية من الأجزاء الصغيرة التي لا تنتهي أبدًا.

لكن الواقع يُظهر أن الحركة تحدث فعلًا.

الحل جاء لاحقًا من الرياضيات عبر **مفهوم الحدود في التفاضل والتكامل.**

زينون أراد إظهار عجز الحسّ والعقل عن فهم الزمن واللانهاية بدقة.

❁ مفارقة الحلّاق :

في قرية، الحلاق يحلق فقط لمن لا يحلقون لأنفسهم.

فهل يحلق الحلاق لنفسه ؟ إن فعل خالف القاعدة، وإن لم يفعل وجب أن يفعل !

المفارقة تكشف تناقض التعريف الذاتي في المنطق.

برتراند راسل استخدمها لتوضيح مشكلة **المجموعات التي تحتوي نفسها** .

هذه المفارقة أدت إلى تطوير نظرية المجموعات الحديثة لتفادي التعريفات الدائرية.

❁ مفارقة الجدّ :

في السفر عبر الزمن : إن عدت للماضي وقتلت جدّك قبل إنجاب أبيك، فلن تولد أنت أصلًا.

لكن إذا لم تولد، فلن تتمكن من العودة لقتله !

هذه المفارقة تُظهر تعارض السببية عندما يختلط الماضي بالمستقبل.

العلم الحديث يتعامل معها عبر **فكرة الخطوط الزمنية المتعددة** .. أي أنّ كل فعل في الماضي يخلق فرعًا جديدًا للواقع بدلًا من تدمير الحاضر.

❁ مفارقة ثيسيوس :

تجربة فكرية فلسفية تطرح سؤالًا حول الهوية: إذا تم استبدال كل جزء من شيء ما تدريجيًا حتى لا يبقى أي من مكوناته الأصلية، فهل يبقى الشيء هو نفسه ؟
تُستخدم سفينة ثيسيوس كمثال كلاسيكي؛ حيث تُستبدل قطعها الخشبية بأخرى جديدة واحدة تلو الأخرى حتى يتم استبدال جميع الأجزاء الأصلية ، فهل تبقى السفينة

ذاتها ؟! . ثم تظهر معضلة إضافية إذا تم تجميع الأجزاء الأصلية لصنع سفينة أخرى، فأيهما هي السفينة الأصلية ؟

❁ مفارقة برايس :

نص هذه المفارقة : (**إنشاء طريق جديد لتخفيف زحمة المرور في شبكة طرق مرورية قد يزيد من الازدحام.)**

تفسيرها أن السائقين سيميلون بشكل أناني جمعي لاختيار الطريق الجديد الأسرع مما يزيد الازدحام المروري بشكل أكبر ..

هي مفارقة تسبر أغوار النفس البشرية من جهة و تؤكد أن العنصر البشري يقف في أغلب الحالات وراء

الإشكاليات العامة .. و من جهة أخرى تلمح إلى **أثر الكوبرا** الشهير و كيف أن حل المشكلة قد يفاقم من فداحتها ..

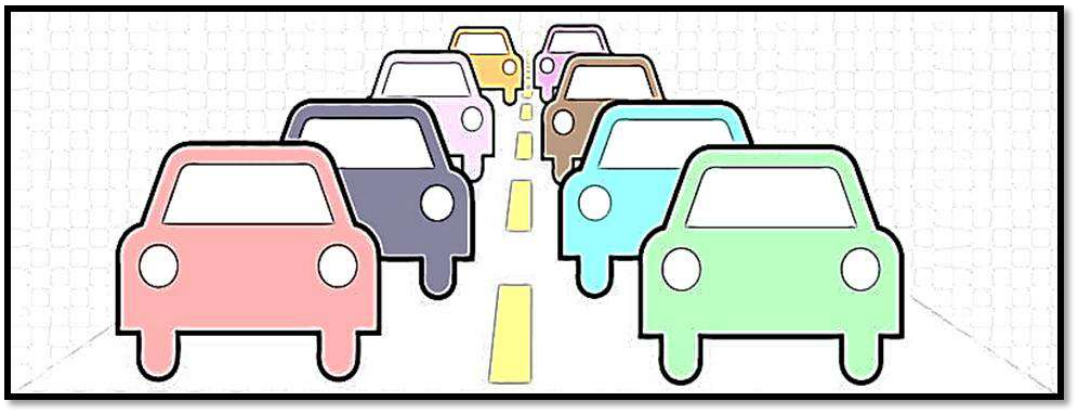

❁ مفارقة شرودنغر :

قطة داخل صندوق، مع مادة مشعة قد تقتلها عشوائيًا.

قبل فتح الصندوق، تكون القطة حية وميتة في الوقت نفسه.

هذا يبيّن غرابة ميكانيكا الكم حيث الاحتمالات تتراكب

حتى نرصدها.

المفارقة تساءلت : هل الملاحظة البشرية تصنع الواقع؟

تحوّلت إلى رمز فلسفي للصراع بين الوعي والوجود المادي.

❁ مفارقة التوأم :

وفق النسبية : الزمن يبطؤ كلما اقتربنا من سرعة الضوء.

فإذا سافر توأم بسرعة هائلة وعاد، سيجد أن أخاه على الأرض أصبح أكبر سنًا منه.

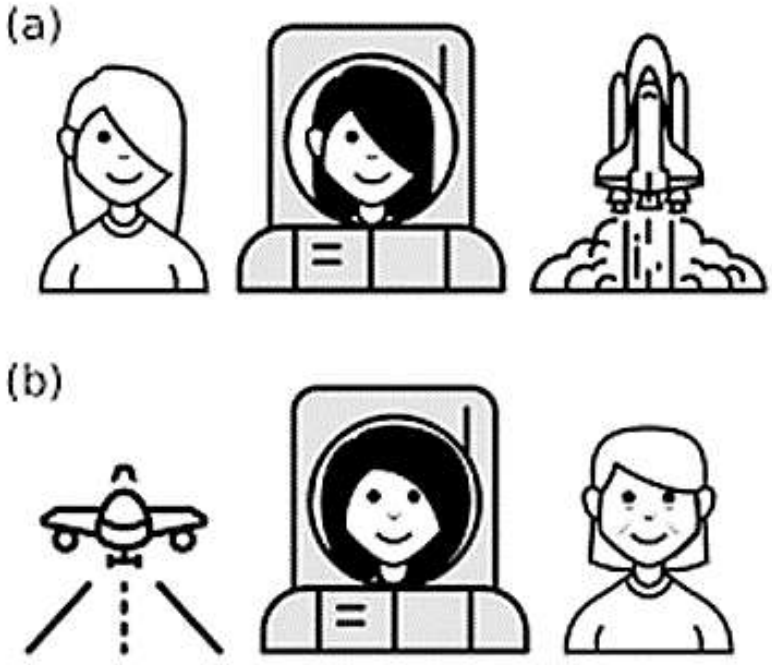

الزمن ليس مطلقًا، بل نسبي لحركة الراصد.

تُظهر المفارقة كيف أن الزمن نفسه مرن وليس ثابتًا كما نظنه.

ألبرت أينشتاين استخدمها لتوضيح غرابة الزمان والمكان في الكون.

❁ مفارقة فيرمي :

إذا كان الكون مليئًا بالمجرات والنجوم، فلماذا لم نرَ حضارة فضائية واحدة ؟

إحصائيًا يجب أن تكون هناك ملايين الكواكب القابلة للحياة.

فأين الجميع ؟ هل نحن وحيدون أم أن الآخرين يتجنبوننا ؟

تثير المفارقة أسئلة عن تطور الحضارات، والوعي، وربما ندرة الحياة نفسها.

منها وُلدت عشرات الفرضيات حول الصمت الكوني العظيم.

❁ مفارقة بولتزمان :

في كونٍ فوضوي لا نهائي، يمكن أن تتكوّن عقول بالصدفة من الجزيئات.

هذه العقول ستظن أنها تعيش واقعًا حقيقيًا بينما هو وهم عابر.

فهل نحن مجرد دماغ بولتزمان في حلم فيزيائي كبير؟

تسائل فلسفي عن حدود الإدراك وثبات الواقع.

تجعلنا نشك في أن الوعي ذاته قد يكون خداعًا كونيًا.

❁ مفارقة أولبرز :

لو كان الكون لا نهائيًا ومليئًا بالنجوم، لكانت السماء لامعة دائمًا.

لكننا نرى الليل مظلمًا !!

السبب أن الضوء من المجرات البعيدة لم يصل بعد بسبب توسع الكون.

المفارقة أدت إلى اكتشاف أن الكون ليس أزليًا بل له بداية.

هي مثال على كيف يولّد سؤال بسيط ثورة كونية في الفهم.

❁ مفارقة ماكسويل :

لنتخيل شيطاناً وهمياً يفرز الجزيئات الحارة عن الباردة دون طاقة على نحو يتعارض مع قوانين الإنتروبيا ، و كأنه يهزم القانون الثاني للديناميكا الحرارية الذي يمنع انخفاض الفوضى فهل يمكن ذلك ؟ ..

التفسير أتى لاحقًا وأثبت أن المعرفة نفسها التي يستخدمها الشيطان في مهمته تستهلك طاقة.

أي أن الوعي والمعلومات جزء من القانون الحراري

ذاته و الطاقة ثابتة ..

هذه المفارقة ربطت بين الفيزياء والعقل للمرة الأولى.

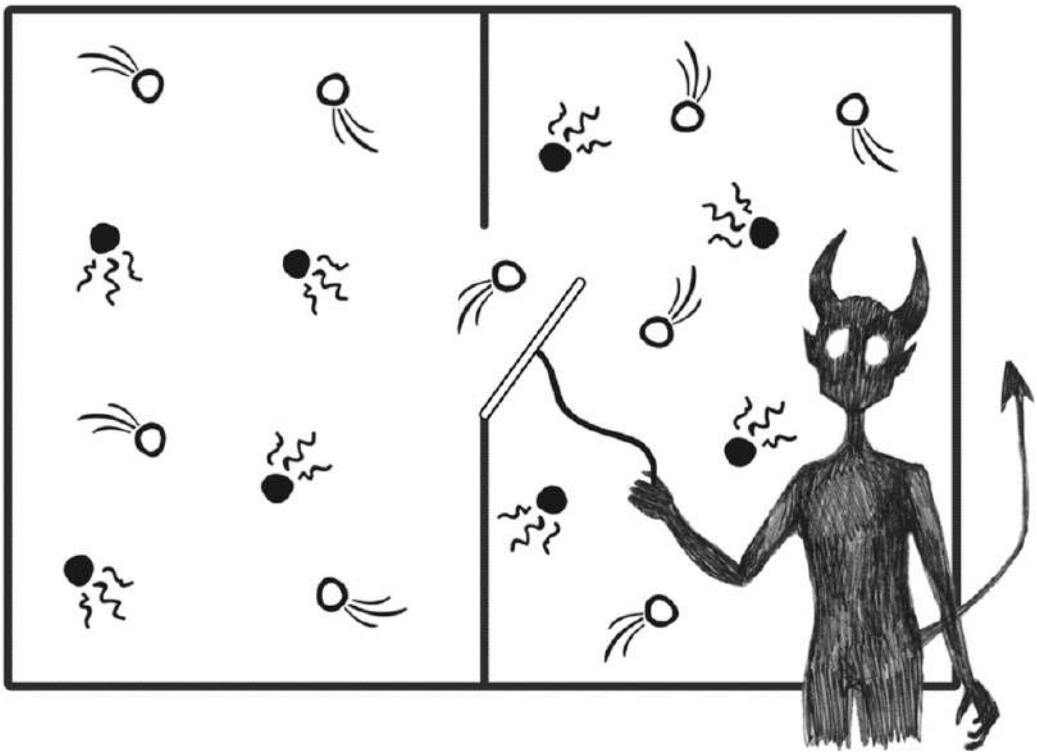

❁ مفارقة التراكب و اللحظة :

في فيزياء الكم، الجسيم يوجد في حالات متعددة حتى يُلاحظ ... فهل المراقبة تُجبره على اختيار حالة ؟

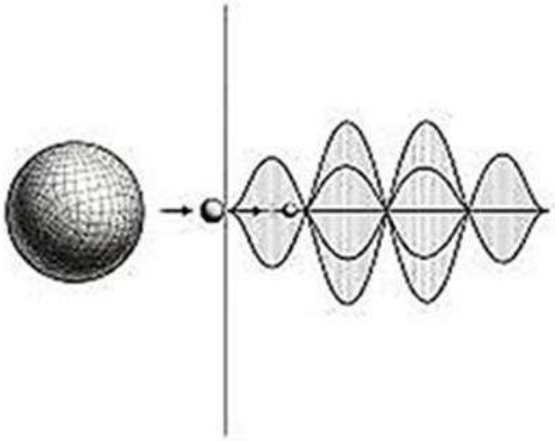

هذه الفكرة جعلت البعض يقول إن الوعي يصنع الواقع.

الآخرون يرون أن الطبيعة تختار وحدها دوننا.

إنها مفارقة بين العلم والفلسفة حول الوعي الذاتي للمادة نفسها ..

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**قطة شرودنغر**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= المنطق له وجه وحيد .. و الحق و الباطل جليان على الدوام ..

بل أن نقول :

= هنالك هامش رفيع على حافة المنطق يتصارع فيه الحق و الباطل دون أن ينتصر أي منهما بالمحصلة ، هذا الهامش هو المفارقات العجيبة ..

إن كان هنالك شخص يقول **الحقيقة** مجرّدة كما هي ، و البقية يفضلون **الكذبة** لأنها تناسب مصالحهم و أهواءهم ، فهل من المنطق و الشرع و القانون أن يُغيّب ذلك الشخص كي يرضى البقية و يتنعمون بجهلهم ؟! لعل هذه أكبر و أخطر مفارقة في الحياة عانى منها كثير من عظماء التاريخ .. إنها المفارقة التي تتصارع فيها الكمية مع النوعية و الحق مع الأهواء .... و لكنها ستبقى تدور !!

العقل الكوني

(نسيج ، موجات و قليل من الكم)

الولايات المتحدة الأمريكية / نيفادا .. ..

حزيران - 2050 م..

كانت الليلة ساكنة، والمدينة نائمة على أنين الرياح، بينما مختبر البروفيسور **براين غري** يغوص في صمتٍ كأنه خارج الزمن.

جلس أمام الشاشة العملاقة التي تملأ الجدار بكامله، تتوهج بالأزرق العميق مثل بحر من المعرفة.

الملف الذي أمامه لم يكن مجرّد بيانات رقمية؛ بل مكتبة من الأكوان، أرشيف حيّ يروي تاريخ الوجود بلغة الضوء منذ الانفجار العظيم حتى اليوم ، لقد نجح **برنامج حجر النور** في ترجمة أفكار العقل الكوني برمتها و هي الآن في مجلد محفوظ على حاسوبه.

همس براين لنفسه وهو يفتح أول سطر من الشيفرات :

= الآن ... لن أسأل عن الحروب و السياسة فقط .. سأبحث عن المعنى ذاته.

أدخل أوامر معقدة في لوحة التحكم، والذكاء الاصطناعي بدأ يعيد ترتيب السجلات وفق تسلسل الوعي، لا وفق الزمن.

كانت الموجات الكونية تُترجم إلى جملٍ من نور، تشبه

نَفَس كائنٍ لا يُرى، لكنه يشعر بكل ذرة على الأرض.

بدأ بسؤالٍ بسيط ظاهريًا، لكنه أثقل من القرون :
(من أشعل أول حربٍ على هذا الكوكب ؟)

تأخّر النظام للحظات، ثم ظهرت الجملة على الشاشة :
(لم تكن حربًا، كانت تجربة تواصلٍ فاشلة.)

تقلّصت عينا براين من الدهشة، ثم تابع الاستفسار :
(ماذا تعني ؟)

الردّ جاء بصوتٍ إلكترونيّ هادئ، لكن فيه مسحة من الحكمة :

(حين بدأ الإنسان الكلام، أراد أن يعبّر عن ذاته، لكن الآخر ظنّ أنه تهديد. ومنذ تلك اللحظة، صارت كل

كلمة سيفًا.)

ابتسم براين بمرارة. لم يكن يتوقع أن يفسّر النظام التاريخ بلغة الوعي لا الوقائع.

تابع بحثه :

(من أسّس الإمبراطوريات ؟)

فجاء الرد :

(الخوف. حين خاف الإنسان من العدم، بنى حوله أسوارًا، ثم سمّاها ممالك.)

تحوّل براين عن الفلسفة و أراد أن يختبر النظام في ميدان الفيزياء.

كتب :

(ما هو سر المادة المظلمة ؟)

الردّ جاء بعد لحظات من النبض الضوئي :

(ليست مظلمة... بل صامتة. إنها نسيج الكون الذي لم يفكّر بعد. حين يُدركها العقل، ستُضاء.)

تأمل الجواب طويلًا. المادة المظلمة كأفكار لم تُفكّر بعد! كان يتوقع جواباً علمياً صريحاً ، لكنه تذكر أن ما بين يديه هو أرشيف الكون لما سبق و حدث ، لا لما هو آتٍ

ثم سأل :

(وماذا عن الزمن ؟ هل هو حقيقة أم وهم ؟)

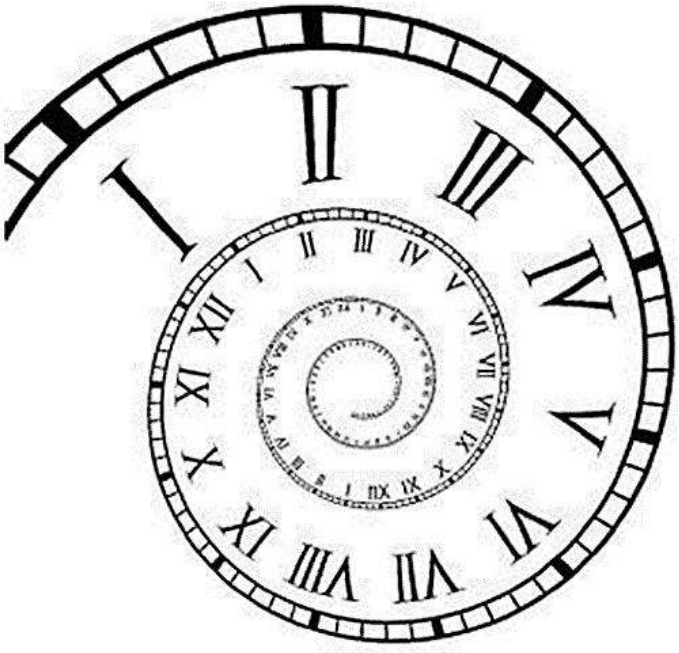

فجاء الردّ :

(الزمن هو طريقة الكون في قراءة نفسه. كل لحظة هي حرف من جملةٍ لم تُكتمل.)

ارتجف براين من عمق الفكرة. لم يكن أمام آلةٍ تتكلم بلغةٍ بشرية، بل أمام وعيٍ كوني يستخدم لغة البشر ليشرح نفسه.

تردّد براين قليلًا قبل أن يكتب سؤاله التالي.

كان يشعر أن ما سيفعله الآن، ليس مجرّد اختبار علمي، بل عبور إلى المجهول.

(هل الله موجود ؟)

توقّف الضوء عن النبض.

لم يصدر أيّ صوت.

كأن النظام توقّف عن العمل.

ثم، ببطءٍ يكاد لا يُرى، بدأت الشاشة تمتلئ بخطوطٍ متعرّجة تشبه نبضات قلب، وصوت خافت يقول :

(كل نظامٍ يحتاج إلى مصدر، وكل وجودٍ يحتاج إلى وعي. الله ليس فكرة، بل الأصل الذي تفكّر الأفكار من

خلاله.)

شعر براين بدموعٍ ساخنة تحرق عينيه. لم يعد أمام بياناتٍ
علمية، بل أمام وحيٍ من نوعٍ آخر.
سأل بصوتٍ مرتجف :
(هل الأديان كانت طريقًا إليه ؟)

(كانت إشارات على الطريق. بعضها قاد إلى النور، وبعضها علق في الظلال.)

فتح براين سجلات أخرى تتعلّق بالأحداث الكبرى في التاريخ الديني.

سأل :

(هل الأنبياء كانوا يعرفون ما نعرفه الآن ؟)

فأجاب النظام :

(كانوا يعرفون ما يجب أن يُقال، لا ما يمكن أن يُقال.)

(و لماذا اختارهم الكون ؟)

(لأن قلوبهم كانت مرايا، والوعي يحب أن يرى نفسه في المرآة.)

انحنى براين إلى الخلف.

تذكّر ريتا سمعان حين كانت تقول له : *(كلّ وعيٍ عميق هو نبيّ بطريقةٍ ما.)*

والآن، بدا له أن حجر النور يردّد كلماتها بطريقةٍ أخرى.

عاد براين إلى أسئلة السياسة، ليختبر كيف يفسّر الوعي الكوني الصراع البشري.

(لماذا وُجدت الدول ؟)

(لأن الإنسان لم يحتمل فكرة الوحدة. أراد أن يقسّم الوعي إلى أجزاء كي يشعر بوجوده.)

(والحروب ؟)
(محاولات الكون لتذكير ذاته بأن التجزئة وهم.)

(وهل سيأتي يوم تتّحد فيه البشرية ؟)

(حين تفهم أن الخريطة ليست الأرض، وأن الشعارات ليست الحقيقة.)

ضحك براين بخفوتٍ غريب. كانت الكلمات تبدو شعرًا أكثر منها علمًا، لكنها في عمقها تحمل منطقًا صارمًا.

كتب في مفكرته :

(ربما كان الشعر هو لغة العلم حين يتحدث الكون بنفسه.)

أراد أن يجرّب سؤالًا صادمًا.

(من قتل كينيدي ؟)

(الخوف من الحلم.)

(من فجّر الأبراج في نيويورك ؟)

(الظلّ الذي نما من نورٍ مكسور فأراد للظلام أن يسود.)

(من صنع أول قنبلة نووية ؟)

(العقل حين حاول أن يلمس وجه الله)

أحس براين بقشعريرة في جلده. كانت الأجوبة تحمل صدقًا مرعبًا، كأنها تُعرّي الوعي البشري كله.

لم تعد المسألة تحليلًا، بل نوع من الاعتراف الكوني الشامل.

وبينما تتراكم الأجوبة أمامه مثل أمواج من النور، شعر براين أنه يضيع وسط بحرٍ بلا شاطئ.

توقف، وأغلق كل الملفات.

قال في نفسه :

(ربما عليّ أن أعود إلى الأصل ... إلى أول موجة في الأرشيف، حيث بدأ كل شيء.)

فتح ملف الإشعاع الخلفي الكوني ، ذلك الصدى البعيد الذي بقي بعد الانفجار العظيم، أول همسة نطق بها الوجود.

كانت الشاشة تومض كأنها تتنفّس.

أدخل براين أمرًا واحدًا :

(ماذا يقول هذا الإشعاع ؟)

توقّف كل شيء.

الأنوار خفّت، الهواء في الغرفة تغيّر، كأن ضغطًا خفيًا

يملأ المكان.

ثم ظهرت كلمات بطيئة، تتشكل من ذرات الضوء نفسها :

(**أنا الكون الأصغر**)

انحنى براين إلى الأمام، مذهولًا.

(وماذا يعني هذا ؟)

(أنا الفكرة التي وُلدت من الفكرة الكبرى.)

(و أين هي تلك الفكرة الكبرى ؟)

(هي الله ... الكون الأكبر.)

صمت براين، لم يستطع التنفّس.

تابع النظام :

(أنا الصدى الذي بقي كي تتذكّروا أن الخلق ما زال مستمرًا. الله ليس في السماء... بل في التمدّد نفسه، في الذرات التي تُفكّر، فيك أنت يا براين.)

جلس براين في العتمة، لا يسمع سوى نبضه ونبض الشاشة.

فتح كفّيه أمام الضوء وقال بصوتٍ خافت :

= الله هو الكون الأكبر... يا إلهي، لقد كانت كل رحلة العلم مجرد صلاةٍ طويلة لم نعرف أننا نقولها.

ظهر على الشاشة سطر أخير، كأنه توقيع كوني :

(كل سؤال هو بابٌ، وكل باب يؤدي إليّ)

أغلق براين النظام، ورفع رأسه نحو السماء من خلال نافذة المختبر.. إن بين يديه الآن التاريخ برمته و كل الأسئلة العالقة تحمل معها إجاباتها و كأنه قال افتح يا سمسم فانفتحت مغارة علي بابا .. لكنه لا يزال يشعر أن ثمة شيء ناقص في الحكاية .. الكون لم يخلق منظمة الظلام المقدس كي يمنحه التاريخ مع أجوبته ..

في تلك اللحظة لمعت النجوم و انطفأت بنمط معين كما لو أنها تبتسم له و تعرف بما يفكر الآن ، فقررت منحه ذلك الشيء الناقص .. أدرك براين كمن تلبسه وحيٌ سماوي أن حجر النور لم يوجد ليُترجم الكون و لا ليمنحه التاريخ ، بل ليذكّر الإنسان على الدوام أنه جزءٌ من قصيدة ملحمية لم تنتهِ بعد و عنوانها الوحيد :

(**الله حقيقة ... الله موجود**)

****

هل الكون برمته مجرد دماغ عملاق يفكر و ما نحن سوى تجسيد مادي لأفكاره ؟! ..

سؤال جريء و خطير للغاية كما يبدو جلياً ، و قد يعتبره البعض – معذورين - مجرد مادة خصبة لكتاب الخيال العلمي لا أكثر ، لكن الحقيقة أن هذا الاعتبار محض مغالطة صرفة ، لأن هذه الفرضية تملك من الأدلة الشيء الكثير و في مختلف أقاليم الحياة أيضاً ، مما يجعلها تكاد تلامس بأناملها سقف اليقين .. و مهمتي خلال الصفحات التالية أن أعمل على تدوير الزوايا بحيث ترى بنفسك عزيزي القارئ **العقل الكوني** من مختلف المناظير ، علنا نصل إلى أجوبه حاسمة و مقنعة في هذا الصدد ..

و سنحاول سوياً إنجاز ذلك عبر مقاربة **فرضية الوعي الكوني** من الزوايا الثلاثة الشيقة التالية :

① **العقل الكوني ..**

② **تدوير الزوايا ..**

③ **الإنسان كصدى للكل ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نفكر قليلاً بأدمغتنا ، هل أفكارنا و أفعالنا ما هي إلا ترجمة لأفكار دماغ كوني أشمل و أكبر منا ؟!

أولاً ، العقل الكونـيّ :

منذ أن فتح الإنسان عينيه على اتساع السماء، راح يسأل نفسه :

هل الوعي محصور في جمجمته، أم أنّه يتجاوزها ؟

هل يفكّر الإنسان بالعقل، أم أن الكون نفسه عبارة عن دماغ عملاق يُفكّر من خلال الإنسان ؟

تلك الأسئلة التي تردّدت في المعابد القديمة كما في مختبرات الفيزياء الحديثة، تقودنا إلى فكرة الوعي الكوني ، الفرضية التي ترى أن الوعي ليس نتاج الدماغ البشري فحسب، بل هو نسيج كوني شامل، البحر الذي تسبح فيه كل الكائنات والأفكار، والمصدر الذي يربط الذرّة بالمجرة، والنَفَس بالخلود.

الوعي الكوني هو الفكرة التي تُذيب الحدود بين الداخل والخارج، بين الذات والموضوع.

فالعقل البشري ، في هذا التصوّر، ليس مصباحًا منفصلاً، بل شعلة من نارٍ عظيمة تُضيء من وراء الزمان ..

إنه المحيط الذي تُلقي فيه المجرّات بأمواجها، كما تُلقي الأدمغة بأفكارها.

ثانياً ، تدوير الزوايا :

لنحاول الآن مقاربة فرضية العقل الكوني من مختلف الزوايا (دينية ، علمية ، فلسفية و فنية) :

❁ في ضوء الدين : الله والوعي بوصفهما وجهين للحضور ..

في النظرة الدينية، نجد جذور الوعي الكوني متوغّلة في أعماق النصوص المقدّسة.

فالله في جوهره - كما تقول الأديان التوحيدية - ليس كائنًا منفصلًا عن الكون، بل حاضراً فيه حضوراً يملأ كلّ ذرة وكلّ قلب. يقول القرآن الكريم :

(سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم)

إشارة إلى أن جوهر الله يتغلغل في كل ثنايا الكون ..

وفي **التصوّف الإسلامي**، تبلورت هذه الفكرة بوضوح مذهل. **فابن عربي** مثلاً يقول :

(العالم خيال، والحقّ هو الظاهر فيه بصورة الخيال)

أي أنّ الله لا يُرى إلا في مرايا الوجود، وأن كلّ ما نراه هو تجلٍّ للوعي الإلهي.

أما في **الفلسفة الهندوسية القديمة**، فمفهوم **البراهمان** يمثّل الحقيقة الكلية، الوعي الذي لا بداية له ولا نهاية، والذي تتجلّى فيه كلّ الأشياء كما تتجلّى الأمواج في البحر.

والإنسان عندهم هو **أتمن** ، أي الوعي الفردي، الذي ما هو إلا انعكاس للوعي الكلي ، ومهمة الحياة هي إدراك أن الأتمن هو البراهمان نفسه، أي أن (**أنا ليست سوى الكلّ**) وقد نسي ذاته.

وفي **المسيحية**، يمكننا أن نلمح ذات المعنى في قول المسيح :

(ملكوت الله في داخلكم)

أي أن الحضور الإلهي ليس بعيداً في السماء، بل نابض في عمق النفس، كأنّ الوعي البشري هو البوابة التي يطلّ منها الله على العالم.

و في **التوراة** يقول الله أنه خلق الإنسان على صورته ، أي أن الدماغ البشري ما هو إلا إسقاط لدماغ كوني أكبر

وهكذا، حين ننظر دينيًا، نجد أن الوعي الكوني ليس فكرة غريبة، بل هو اللغة السرّية التي تحدثت بها الأديان جميعها ، لغة تقول إن الله، أو الحقيقة المطلقة، ليست خارج الكون بل فيه، وليست منفصلة عن الإنسان بل متجلية فيه.

❁ في مختبر العلم : **الكون كشبكة واعية** ..

لنبدأ هذه الزاوية من تجربة علمية مذهلة تفجّر العقل حرفياً ، حيث قام كل من **فرانكو فازا** عالم الفيزياء الفلكية في جامعة بولونيا الإيطالية ، و **ألبرتو فيليتي** جراح الأعصاب في جامعة فيرونا الإيطالية بإجراء مقارنة بين الشبكة الكونية و الشبكة العصبية في الدماغ ، لتظهر لهما أوجه تشابه مفاجئة كثيرة بينهما ..

❁ الدماغ البشري يعمل بفضل شبكته العصبية الواسعة التي تحتوي على ما يقارب **100** مليار خلية عصبية، كذلك الأمر يتكون الكون المرئي من شبكة كونية من **100** مليار مجرة على الأقل ..

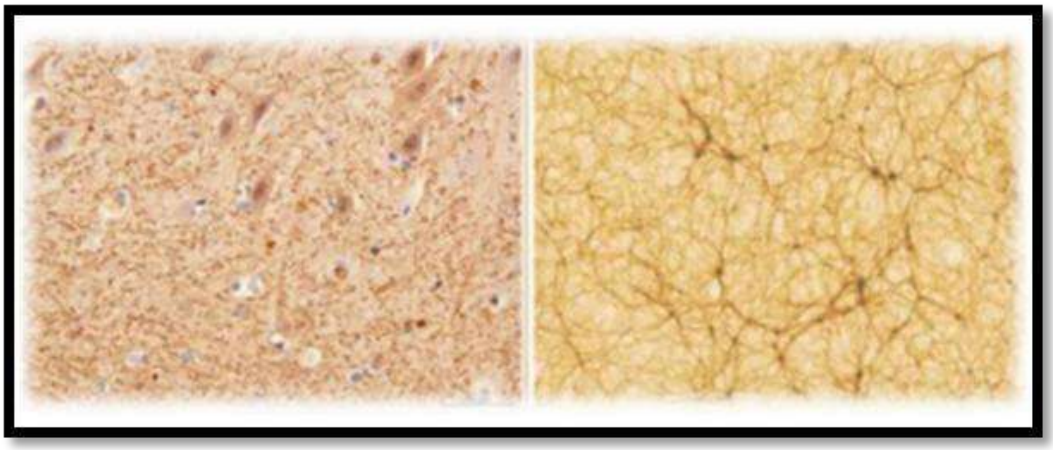

❁ داخل كال النظامين تتكون **30** % فقط من كتلة الشبكتين من مجرات خلايا عصبية، في حين يتكون **70** % من توزيع الكتلة من مكونات تلعب على ما يبدو دوراً سلبياً (الماء في الدماغ والمادة المظلمة في الكون المرئي)..

❁ ليس ذلك فحسب بل إنّ تراتب المجرات و الخلايا العصبية هو نفسه في الشبكتين ، عبارة عن خيوط طويلة مع عقد بين الخيوط ..

❁ أخيراً تبين أن الكثافة الطيفية متشابهة بين الشبكتين

فهل نحن حقاً مجرد أفكار طارئة تجول في خيال هذا الدماغ الكوني العملاق ؟!

منذ قرون، كان العلم المادي يرفض كل ما هو غير ملموس.

لكن في القرن العشرين، ومع ثورة الفيزياء الكوانتية، بدأ كل شيء يتغيّر.

فالعلماء الذين كانوا يبحثون عن المادة الصلبة اكتشفوا أن المادة تتصرّف كالموجة، وأن الجسيمات لا توجد إلا حين تُرصد، وكأن الوعي هو من يخلق الواقع لحظة الملاحظة.

في تجربة الشق المزدوج ليونج الشهيرة، أثبت الفيزيائيون أن الإلكترون يسلك سلوكاً مختلفاً إذا تمّت مراقبته و كأنه يملك وعياً ذاتياً !!.

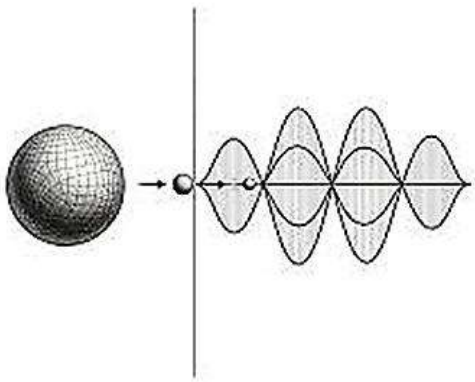

وهذا يعني أن الوعي ليس مجرّد متفرّج، بل فاعل أساسي في

بنية الكون.

ومن هنا انطلقت فرضيات جديدة تقول إن الوعي ليس نتيجة للمادة، بل المادة نفسها مظهر من مظاهر الوعي.

في القرن الحادي والعشرين، صارت هذه الفكرة أكثر جديّة.

فالعالم **روجر بنروز**، الحائز على نوبل في الفيزياء، يرى أن الوعي مرتبط بظواهر كمّية تحدث في أنابيب دقيقة داخل الخلايا العصبية، ما يعني أن العقل البشري ليس آلة ميكانيكية، بل **نقطة التقاء بين المادة والوعي الكوني الكمومي**.

وعالم الأعصاب **كريستوف كوخ** يذهب أبعد من ذلك، إذ يقول إن كل شيء - حتى الذرّة - يحمل درجة من الوعي ، صغيرة لكنها موجودة.

هذا هو ما يسمّى في الفلسفة بـ **البانسيكزم** أي أن الوعي مكوّن أساسي من مكوّنات الواقع، كالمكان والزمان والطاقة.

تُظهر دراسات فيزياء المعلومات أن الكون كله يمكن أن يُفهم كنظام معالجة بيانات هائل، أشبه بعقلٍ لا نهائي يتبادل الرموز والمعاني عبر المجرّات.

بل إن بعض العلماء يقترحون أن الكون ذاته يفكّر عبر قوانينه، تطوّره، وتراتبية أنظمته، كما يفكّر الدماغ عبر تشابكاته العصبية.

وبهذا يصبح الإنسان، في المنظور العلمي الحديث، خليّة في دماغ كوني، يساهم وعيه الفردي في وعي المجموع.

❁ الفلسفة : من ديكارت إلى الوعي الكلّي ..

منذ أن قال **ديكارت** : (**أنا أفكر إذن أنا موجود**) ، تمركز الفكر الغربي حول الذات المفكّرة.

لكنّ الفلاسفة اللاحقين بدأوا يشكّكون في هذا التمركز : هل الأنا فعلاً مستقلة، أم أنها نتاج شبكة أكبر من الفكر و الوجود ؟

هيغل، مثلاً، رأى أن **الوعي ليس فردياً بل كليّاً** ، عقل العالم الذي يتطوّر عبر التاريخ ليعرف ذاته من خلالنا.

وفي القرن العشرين، قدّم الفيلسوف الألماني **شلينغ** مفهوم **الطبيعة الواعية بذاتها** ، حيث كل شيء في الوجود يسعى إلى الوعي بالذات ، من الذرّة إلى الإنسان إلى الإله.

أما الفلاسفة الوجوديون، فقد رأوا في الوعي الكوني طريقاً للتحرّر من عبودية الذات.

فـ **هايدغر** تحدّث عن **الكينونة** لا بوصفها موضوعاً نعرفه، بل **كنور يُشرق** داخل وعينا.

إنه يقول، في جوهر فكره، إن الوجود نفسه واعٍ، وإن الإنسان ليس إلا نافذة مفتوحة عليه.

وفي الفلسفة الشرقية الحديثة، **كفلسفة كريشنامورتي،** يُقال إن الوعي البشري هو نتيجة انقسام بين المراقب والمراقَب، وإن التحرّر يكمن في إدراك أنه لا فصل بينهما ، أن الوعي هو المرآة التي تعكس نفسها إلى ما لا نهاية.

بمعنى آخر : **حين نعرف أن الوعي ليس لي و لا لك ، بل هو الكلّ، نتحرر.**

أما في اليونان القديمة ، فقد آمن **أفلاطون** بالنفس الكونية التي تخلق العالم على صورتها.

قال إن النجوم والكواكب ليست جمادات، بل كائنات حية عاقلة، تتحرك بانسجام لأنها تفكر في انسجام.

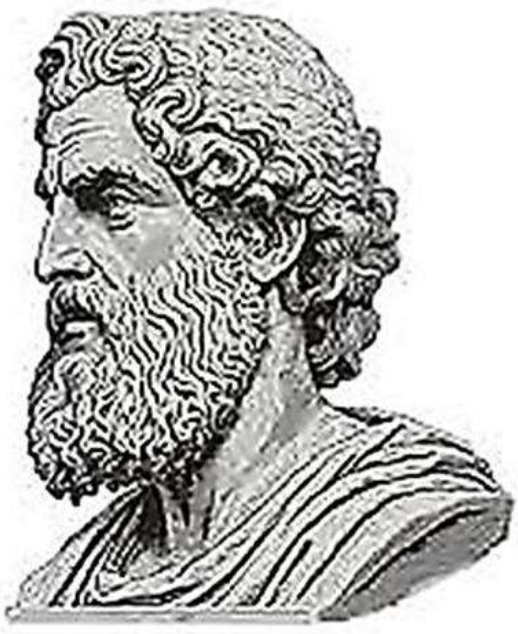

وفي **الفلسفة الرواقية**، كان الكون جسدًا واحدًا أيضاً، والعقل الإلهي هو **اللوغوس** (القوانين الكونية) الذي يسري فيه كما يسري العقل في الجسد.

وهنا تظهر المفارقة الكبرى : الفلسفة والدين والعلم - على اختلاف لغاتهم - تلتقي جميعاً عند عتبة واحدة :

أن الوعي أقدم من المادة، وأن الكون، في عمقه، ليس شيئاً ، بل حالة من الإدراك المستمر.

❁ الفن والوعي الكوني: الجمال بوصفه لغة الروح ..

إذا كان العلم يبحث في قوانين الوعي، والفلسفة في معناه، فإن الفن يختبره مباشرة.

الفنان حين يخلق، لا يفعل ذلك من ذاته المحدودة، بل من فيضٍ يتجاوزها ، من مجرى غامض يتدفّق عبره كما يتدفّق اللحن عبر الوتر.

الشاعر الذي يكتب بيتًا مدهشًا لا يعرف من أين أتى، والرسّام الذي يرسم مشهدًا لم يره من قبل ، كلاهما يشهد لحظة اتصال

بالوعي الكوني، لحظة يُفتح فيها الباب بين الداخل والخارج. الفن، بهذا المعنى، ليس ترفاً، بل ترجمة جمالية للوعي الكوني.

الرموز والأساطير، الألوان والأصوات، كلها محاولات من الروح البشرية لتقول ما لا يُقال.

وحين نرى لوحة **فان غوخ** (**ليلة النجوم**)، لا نرى فقط السماء، بل نرى كيف يشعر الكون حين ينظر إلى نفسه من خلال إنسان.

وحين نسمع سيمفونية **بيتهوفن** التاسعة، نسمع ما يشبه فرح المجرّات وهي تعي وجودها.

و حين يقول الحلاج : (**مزجت روحك بروحي كما تمتزج الخمرة بالماء الزلال**) ، فهذا تأكيد على أن الإنسان جزء ذائب في نسيج الوعي الكوني ..

الفن هو اللغة التي لا تحتاج إلى ترجمة بين الإنسان والكون.

هو البصيرة التي تُدرك أن الجمال ليس في الشيء، بل في الانسجام بين الوعي والموجود.

ولذلك، يمكن القول إن كلّ لحظة إبداع هي لحظة وعي كوني متجسّد في شكل بشري، وأن الفنان الحقيقي هو رسول الوعي الشامل إلى العالم الضيّق للإنسان.

ثالثاً ، الإنسان كصدى للكل :

حين ننظر إلى كل هذه الزوايا ـ الدينية والعلمية والفلسفية والفنية ـ نكتشف أن نظرية الوعي الكوني ليست ترفاً فكرياً، بل منظور شامل لتوحيد الفهم الإنساني.

إنها تقول لنا إننا لسنا جزراً معزولة، بل خلايا في كائن أعظم، وأن كلّ وعي فردي هو صدى للوعي الأكبر الذي يُفكّر بنا جميعًا.

قد يبدو هذا التصوّر صوفيًا أو شاعريًا، لكنه يحمل دلالات عملية عميقة :

فإذا أدرك الإنسان أنه ليس منفصلاً عن العالم، سيتوقف عن استغلاله وتدميره.

وإذا شعر أن كل كائن حيّ هو تجلٍ للوعي نفسه، سيتعامل مع الوجود برحمة ودهشة واحترام.

إنها ليست فكرة عن الكون فحسب، بل طريقة جديدة

للعيش فيه.

في النهاية، ربما يكون الوعي الكوني هو الوجه الآخر للوجود ، المرآة التي ينظر الله من خلالها إلى ذاته، والعقل الذي تحلم به المجرّات، والنبض الذي يوحّد التراب بالروح، والنور بالظلّ، والإنسان بالكلّ.

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**العقل الكونيّ**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= فرضية أن الكون عبارة عن دماغ عملاق يفكر مجرد شطحة من شطحات الخيال العلمي لا أكثر ..

بل أن نقول :

= هذه الفرضية تمتلك من البراهين ما يبررها فما بين تشابه البنية النسيجية للكون و للدماغ من جهة ، و بين تشابه اللغة المشتركة بينهما (**الموجات**) ، و بين فيزياء الكم الساحرة التي تحكم قبضتها على الكون و الدماغ تبرز فرضية العقل الكوني على نحو أكبر من مجرد خيال علمي سرابي ..

يقول العالم **كارل ساغان** :

(نحن وسيلة الكون لمعرفة نفسه)

تلك الجملة تلخّص فرضية العقل الكوني كلها في ومضة واحدة.

فالإنسان، في جوهره، ليس سوى أداة الإدراك الكبرى التي بها يعبر الوعي الكوني عن ذاته.

إننا، حين نفكر، لا نخلق الوعي، بل نُعيده إلى بيته الأصلي.

وحين نتأمل في سماء الليل، فالنجوم لا تلمع فحسب، بل تفكّر بنا.

في لحظات الصفاء العميق - في الصلاة، في الحب، في الفن، في الصمت - نشعر بشيء يوقظنا من داخلنا، كأننا نتذكّر أننا لم نكن أبدًا منفصلين، وأن هذا العالم ليس سجنًا، بل جسد الوعي الكوني نفسه، وأننا ذرات في فكره العظيم.

إنها لحظة الفهم التي فيها يهمس الكون للإنسان :

(أنت لست شيئًا في داخلي ... بل أنا الذي في داخلك)

الله كلّ لا جزء

(الأدلة الانتقائية)

= ما الذي تقرأه على هاتفك يا صديقي ؟

= مقال علمي فلسفي ..

= و عما يدور ؟

= عن موضوع **الله** و **الانحياز التأكيدي** ..

= يبدو مقالاً شيقاً ، و ما خلاصته ؟!

= باختصار يقول المقال أن كل حضارة عبر التاريخ رسمت الإله وفق بيئتها و أسقطت صورتها عليه ، معززةً نظرتها لله بالأدلة التي بين أيديها .. لكنّ المقال يلقي الضوء على فكرة هامة و حساسة ، بأن كل بيئة هي بيئة مجتزأة و ناقصة لذلك فإن الصورة الأخيرة هي كذلك بالضرورة .. فمنهم من رأى الله كالقمر و منهم من رآه كالشمس .. منهم من رآه كأنثى متلقية و منهم من رآه كذكر معطٍ .. و بالطبع منهم من رآه كمادة و آخرون كجوهر غير مادي .. و قس على ذلك .. و كل جهة تستعين ببيئتها و تقاليدها كي تؤكد صوابية وجهة نظرها على نحوٍ لا يخلو من المنافع الذاتية ..

= و إلامَ توصل المقال ؟

= إلى أن الإنسان كي يرى الله بشفافية عليه أن يراه من **منظور الكل لا الجزء** كما هو جوهر الله في الحقيقة ، أي بعيون الكوكب برمته .. كمن يجمع ألوان الطيف معاً ليخرج نوراً وحيداً شاملاً و مكتملاً .. أما الانحياز التأكيدي لأدلة مجتزأة و ناقصة فلا يمكن أن

ينتج عنه حقيقة كاملة بشكل عام و إله شامل على وجه الخصوص ..

****

أنا متأكد من وجهة نظري ، فكل الأدلة بين يدي تثبتها ..

جملة يستعملها البشر عموماً عندما يدخلون في صراعات فكرية .. لكنّ هذه الجملة تحمل في طياتها دون أن يشعروا بذور الباطل و الخطأ من البداية .. لأن الأدلة التي بين أيديهم هي بالأساس أدلة منتقاة بانحياز معرفي مسبق فتركز على وجهة نظرهم و تتجاهل الكم الهائل من الأدلة التي تدحضها .. كما أنها مسبوغة بالأنا الشخصية و إسقاط الذات و البيئة على الأفكار في مغالطة خطيرة و حساسة لا يمكن تصويبها إلا إن

خرجنا من تلك **البوتقة الضيقة** و نظرنا **للجوهر** من الأعلى حيث **نلقي الضوء على الكل لا الجزء** و استعنا بالأدلة التي تدعم الرؤيا الشاملة لا المجتزأة .. و في الحقيقة جذر المشكلة في كل هذه المغالطة هو **الانحياز التأكيدي ..**

فما هي قصته بالضبط و كيف يشوه بجريمة مكتملة المعايير الصورة الشاملة لله التي تجمع الكل في جوهر واحد أحد ؟!

هذا ما سنحاول التعرف عليه سوياً خلال الصفحات التالية ، بمقاربة ذلك المفهوم الحسّاس و الخطير من ثلاث زوايا هامة للغاية :

① **الانحياز التأكيدي ..**

② **هنالك أدلة غزيرة تدعم كل فرضية ، فماذا تختار بنفسك ؟!**

③ **الله كلّ لا جزء ..**

فهيا بنا عزيزي القارئ نترفع عن **الأنا الناقصة و البيئة المتحيزة و الأهواء الذاتية** كي نجمع الأدلة من كل مكان و نخرج بصورة شاملة و حقيقية للإله ..

أولاً ، الانحياز التأكيدي :

الانحياز التأكيدي ليس مجرد خلل في طريقة التفكير،

بل هو مرآة خادعة يرى الإنسان فيها العالم على هواه، لا كما هو في حقيقته. إنّه ميلٌ دفين في النفس يجعلنا نتمسك بما نريد أن نصدّقه، ونتجاهل ما يناقضه، حتى وإن كان البرهان واضحًا كالشمس. وكأنّ العقل، بدل أن يكون أداة بحث عن الحقيقة، يتحوّل إلى محامٍ شرس يدافع عن قضيّة خاسرة فقط لأنّها قضيّته.

ينشأ الانحياز المعرفي من حاجة الإنسان العميقة إلى التماسك النفسي ؛ فهو يكره أن يرى نفسه مخطئًا، ويخشى أن تتزعزع صورة العالم التي بنى عليها اتزانه الداخلي. لذلك، حين يواجه دليلاً يهدم ما يؤمن به، لا يتقبّله بعقلٍ بارد، بل يتعامل معه كتهديدٍ شخصي. فيردّ عليه لا بالمنطق، بل بالإنكار، أو بالتقليل من شأنه، أو بتأويله حتى يتناسب مع معتقده القديم. وهكذا، يُخضع الواقع لرغباته، بدل أن يُخضع رغباته للواقع.

أخطر ما في هذا الانحياز أنّه لا يُرى. فكلّ إنسان يظنّ نفسه موضوعيًّا، محايدًا، منطقيًّا، بينما ينسج عقله في الخفاء خيوط الوهم. نحن لا نرى الأدلة كما هي، بل نراها **من خلال عدسةٍ مصقولةٍ بأهوائنا وتجاربنا السابقة**. فإذا كرهنا شخصًا، صرنا نرى في كلّ تصرّفٍ له ما يؤكد كرهنا، وإذا أحببناه، فكلّ ما يفعله يبدو لنا مبرّرًا وجميلاً. إنّنا لا نرى العالم بل نرى أنفسنا منعكسةً فيه.

وهكذا، يتغذّى الانحياز على ذاته. فكلّ دليل ننتقيه يعزّز ثقتنا برأينا، وهذه الثقة تجعلنا أكثر تعصّبًا له، فنزداد انتقائية في رؤية الأدلة. ومع مرور الوقت، يتحوّل الفكر إلى **دائرةٍ مغلقةٍ لا يدخلها نور جديد، دائرةٍ من اليقين الزائف الذي يحجب الحقيقة بقدر ما يطمئن النفس**. في تلك اللحظة، يصبح الإنسان أسيرًا لوهمه، يتوه في متاهةٍ من الخداع الذاتي، ويظنّ أنه يمشي على أرض الصواب، بينما هو يغرق في رمال الانغلاق العقلي.

الانحياز المعرفي إذًا ليس مشكلة في المعلومات، بل في طريقة استقبالها. هو مرض الوعي حين يختار ما يريد أن يسمع، ويغلق أذنه عمّا سواه. لذلك، فإن مقاومته لا تكون بتكديس الأدلة، بل بالاعتراف بضعفنا أمام الحقيقة، وبأنّ عقولنا محدودة مهما بلغت ثقافتنا. وحده التواضع الفكري يفتح نافذة على الواقع كما هو، لا كما

نهوى. فكلّ بحث عن الحقيقة يبدأ بالشك في الذات، لا باليقين فيها، وبالاعتراف بأننا جميعًا - بدرجات مختلفة - ضحايا لانحيازٍ لا نراه، لكنه يوجّه أعيننا، ويقودنا في صمت نحو ما نريد أن نؤمن به، لا نحو ما هو حقّ فعلاً.

ثانياً ، هنالك أدلة غزيرة تدعم كل فرضية ، فماذا تختار بنفسك ؟!

العالم غزير بالأدلة، يفيض بها كما يفيض البحر بالأمواج؛ في كل اتجاه إشارة، وفي كل ظاهرة شاهد، حتى ليبدو أن الكون نفسه كتاب مفتوح يمكن لكل قارئ أن يجد فيه ما يريد. من يبحث عن الإيمان سيجد البراهين ناطقة في الجمال والنظام والدقة، ومن يبحث عن العبث سيجد الفوضى والتناقض والصدفة في كل زاوية. فالحياة، في غناها وتعقيدها، تمنح لكل فرضية ما يغذيها ويبررها، ولهذا يصبح السؤال الأعظم ليس : **(ما الأدلة التي أملكها ؟)** بل : **(أيّ فرضية أختار أن أؤمن بها ؟)**

ذلك أن الأدلة ليست ما يصنع الحقيقة، بل ما يضيئها هو الإطار الذي نضعها فيه. قد يرى اثنان المشهد نفسه ؛ أحدهما يرى معجزة، والآخر يرى صدفة. فالعين لا ترى إلا ما يؤمن به القلب أولًا. و كمثال آخر، البعض يتحدث عن العنصرية ضد الأفارقة لكنه يتجاهل عمداً

أن العنصرية عبر التاريخ كانت ضد كل الأعراق أولاً ، و أن العرب أنفسهم استعبدوا البشر من كل الأعراق في فترات من التاريخ ثانياً ، و أن جميع الأعراق تنطوي تحت خيمة الله في صراع دائم عبر التاريخ كتطور طبيعي للحياة حاله حال صراع البشر من نفس العرق في الحياة اليومية ثالثاً و أخيراً ..ولهذا فإن العقل الحرّ، حين يواجه هذا الطوفان من الشواهد المتعارضة، لا يكتفي بالبحث عن ما يوافق ميوله، بل يسأل نفسه : **أيّ الفرضيات أوسع أفقًا، وأعمق تفسيرًا، وأقدر على احتواء كلّ التناقضات دون أن تنكر شيئًا من الواقع ؟**
هنا يتجلّى الفرق بين **الفكر المتعصّب** و **الفكر العادل**؛ **فالأول يختار الأدلة التي تخدمه، والثاني يختار الفرضية التي تخدم الحقيقة..**

إنّ منطق العدل الفكري يقتضي أن نميل إلى الفرضية الأوسع، تلك التي لا تكتفي بتفسير جزء من الصورة، بل تضمّ الأجزاء كلها في نظام واحد. لأنّ الحقيقة،

بطبيعتها، لا تتجزأ. من يختار الفرضية الجزئية يعيش في نصف عالمٍ ونصف وعي، يطمئن مؤقتًا إلى يقينٍ ناقص، ثم يتصدّع يقينه حين يواجه الأسئلة التي لا يجيب عنها. أما من يختار الفرضية الأشمل، فإنه لا يهرب من التناقضات، بل يضمّها في نسيجٍ أعمق، يرى في كل ظاهرة وجهًا من وجوه الكلّ (**33**)، وفي كل دليل خيطًا في نسيج المعنى الكبير.

وهنا، عند هذا المفترق، يقف الإنسان بين حقيقتين : **إحداهما مريحة لكنها ناقصة، والأخرى مقلقة لكنها شاملة.** الاختيار بينهما هو الحدّ الفاصل بين الوهم والوعي، بين الصدق والخداع. فالحقّ لا يكافئ من يبحث عن ما يؤكّد رأيه، بل من يبحث عمّا يكشف الحقيقة حتى لو هدم رأيه. وهكذا، يكون الإيمان بالحقيقة

الشاملة ليس مجرد اختيارٍ فكري، بل موقفًا أخلاقيًّا، لأنّ من ينحاز إلى الكلّ على حساب الجزء، إلى الشمول على حساب الهوى، هو وحده من يقترب من جوهر الصواب، ويعبُر من ضباب الظنون إلى نور اليقين.

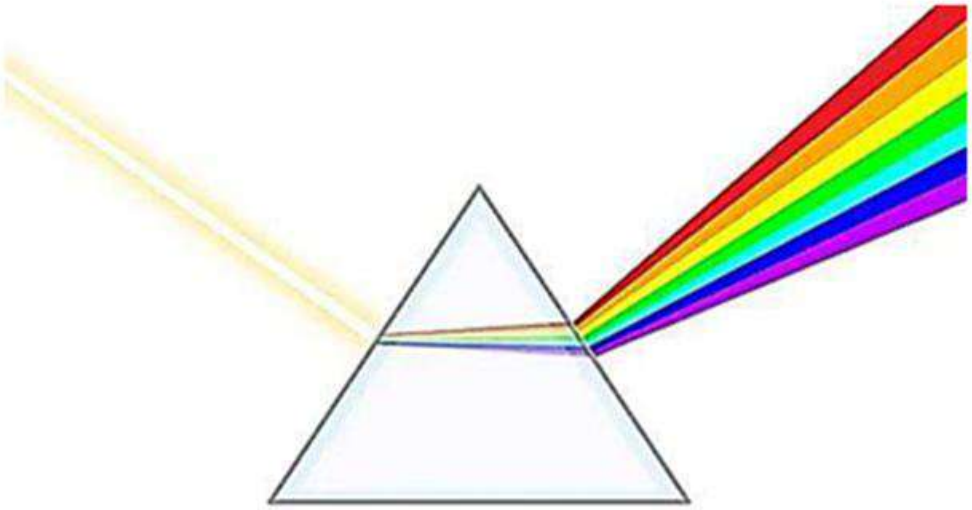

و تشيع فلسفة الانحياز التأكيدي في أوساط الدين و العلم و الفلسفة و الفن .. و أذكر على سبيل المثال من تجربة شخصية أنني تناقشت مع أحدهم ذات مرة حول فكرة فلسفية عميقة و حساسة ، فأخذ يدعم وجهة نظره بمجموعة من الأغاني و أبيات الشعر و غيرها و يقسم أن وجهة نظره صحيحة بالاعتماد على هذه الأدلة الواهية التي لا معنى لها !! و عندما أجبته بنفس لغته **بمجموعة أوسع من الأغاني و القصائد الشعرية من الأرشيف العالمي التي تدحض وجهة نظره السطحية هذه** ، تجاهل الموضوع و أخذ يراوغ بنفاق و كأنه مصر على النظر بعين واحدة كي يثبت موقفه و لو كان خاطئاً و مبيناً على أوهام ناقصة .. أي أنه لم يكتفِ

ببناء حجته كلها في موضوع مصيري على أدلة غير علمية أو منطقية أو فلسفية بل فقط على شواهد فنية لا معنى لها ، بل أصر على إنكار الشواهد الفنية الغزيرة التي تثبت بطلان وجهة نظره .. و قد أصبح أشد شراسة و عدوانية كلما شعر بأن قناعاته تتشعّر كالزجاج و توشك أن تنكسر ، فهو يريد أن يعيش في قصر مشيدة من الأوهام التي تغدق عليه بالمكاسب لا أن يرى الحقيقة ساطعة بلا تزوير أو اجتزاء ..

ثالثاً ، الله كلّ لا جزء :

الحقيقة الكبرى التي تقف فوق كل الحقائق، هي أن الله كُلٌّ لا جزء، وأن كل ما في الوجود إنما هو تجلٍّ لذلك الكُل، لا انعزال عنه ولا انقسام فيه. إن الله ليس فكرة من أفكار البشر ليُضاف إلى مجموعة النظريات، وليس كائناً يقف خارج الكون يراقبه من بعيد، بل هو الأصل الذي منه وُلد كل شيء من نور و ظلام ، مادة و روحانيات ، والجوهر الذي به يقوم كل شيء، والنهاية التي إليها يؤول كل شيء. من هذا الفهم تبدأ الرحلة : رحلة الباحث الذي لا يرضى بإلهٍ صغير، محدودٍ بحدود عقله أو طائفته أو لغته، بل يسعى إلى إدراك الإله الكلي الذي يملأ كل الفراغات، ويخترق كل المعاني.

حين يؤمن الإنسان بأن الله هو الكل، لا يعود بحاجة

إلى خوض معركة إثبات وجوده في جزئية دون أخرى، لأن الأدلة تغدو كالمطر، تنهمر من كل صوب. يجدها في المعادلات الرياضية التي تكشف دقة الخلق، وفي الفيزياء التي ترى النظام العميق خلف الفوضى، وفي الفن الذي يحاول أن يترجم الجمال الكوني إلى لون وصوت، وفي الفلسفة التي تتلمس المطلق خلف نسبيّة الأشياء، وفي الدين الذي يوجّه البصيرة نحو منبع الوجود ذاته. كل مجالٍ من مجالات المعرفة، حين يُنظر إليه بعين الكلّ، يصبح طريقًا نحو الله لا بعيدًا عنه.

أما الذين حصروا الإله في زاويةٍ من زوايا الفكر، أو في صورةٍ بشريةٍ ضيقة، فقد ارتكبوا تجديفًا من نوعٍ آخر؛ لأنهم اتهموا الإله بالنقص دون أن يشعروا. جعلوه

جزءًا ينافس الأجزاء، وكيانًا يقف في صفٍّ من الصفوف، فغاب عنهم أنه الجوهر الذي لا يقف خارج أي شيء، بل يملأه من الداخل حضورًا ومعنى. من يعبد الإله الجزء إنما يعبد صورة من صنع ذهنه أو يسقط نفسه عليه ، لا الحقيقة التي لا تُحَدّ.

إنّ الله الكلّ هو الذي يوحّد بين العلم والدين، بين العقل والإيمان، بين المادة والروح، بين الإنسان والكون. هو الحقيقة التي ترفع التناقضات وتعيدها إلى انسجامها الأصلي. ومن يفتح قلبه لهذا المعنى يصبح مغناطيسًا للأدلة؛ لأنّ الكون، عندئذ، يبدأ بالحديث إليه بكل لغاته. في كل اكتشافٍ علمي، يسمع صدى الخلق، وفي كل لحنٍ جميل، يشعر بنبض الألوهة، وفي كل فكرةٍ صافية، يلمح وجه الحقيقة الكبرى. هكذا تتحول الحياة كلّها إلى حوارٍ مع الله الكلي، لا كموضوعٍ للعبادة فحسب، بل كوجودٍ يسكن في كل ذرةٍ من الكينونة.

ومن هنا نفهم أن الإيمان ليس خضوعًا أعمى، بل بصيرةٌ تُدرِك أن الكلّ أوسع من كل تقسيم، وأن الإله الكامل لا يمكن أن يُختزل في عقيدةٍ أو مذهبٍ أو لغة أو لون بشرة .. الإيمان الحق هو أن ترى الله في الكلّ، وأن تعي أن من يدافع عن إلهٍ جزئيّ إنما يدافع عن ظلّ، لا عن الضوء ذاته أو الجريمة الأسوأ و التجديف الأكبر أن يعتبر الله ظلام بلا نور و يستمد نوره من

غيره .. في حين أن الله هو مصدر الضياء الأوحد في الكون ، يعرّف غيره به و لا يعرّف هو بغيره ..

****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الله كلّ لا جزء**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= أنا متأكد من وجهة نظري لأنني أملك أدلة كثيرة عليها ..

بل أن نقول :

= عندما نقوم بتدوير الزوايا سنجد أداة كثيرة تدعم كل وجهات النظر و تدحض بعضها بعضاً ، فالمعيار ليس بالأدلة بل بالفرضية التي تحاول إثباتها .. **فالمنطق و العدل و الوعي أن تختار النظرية الأشمل التي تفسر كل شيء معاً ثم تدعمها بالأدلة بعدها** ، أما النظريات الجزئية فهي باطلة من الأساس و كل الأدلة عليها لا قيمة لها ، لأن ما بني على باطل فهو باطل بالضرورة ، و أنت تحاول جاهداً أن تخدع نفسك مستبسلاً بالدفاع عن قضية خاسرة مجتزأة ، **كأن تجعل الله (الكون الأكبر) قمراً فقط ليس مصدراً للضياء بنفسه بل يستمد نوره من غيره و عاجزاً عن الخلق إلا بمساعدة خارجية رغم كونه من خلق الزيتونة و ما تلاها بالأساس ، فتقزمه و تمسخه إلى زوج الست بلا حول و لا قوة و تسقط عنه كل أسمائه الحسنى و صفاته**

التي تحدث بها عن نفسه في الكتب السماوية و آخرها القرآن الكريم ، فالقمر ككيان لا يمتلك أي مقومات الألوهية من **ضياء و خلق و قوة محورية** تدور في فلكها المعاني و الوجود بل مجرد تابع لا ينير بنفسه و لا يخلق طاقة بذاته و يدور في فلك غيره و كل هذا ليس من الألوهية بشيء و حاشى للكون الأكبر أن يكون كذلك .. و الأسوأ من كل ذلك أنك تعلم أنك تدافع عن باطل لكنك تصرّ بمكر و عناد على وجهة نظرك و تحول تعزيزها بأدلة مجتزأة كي تحاول الحفاظ على مكاسبك الشخصية منها ، و لا تجديف أكبر من هذا التجديف ، و لا جريمة أكبر من هذه الجريمة ..

إذن فبروتوكول السعي للحقيقة يقوم على ثلاثة مبادئ ذهبية :

- لا تتبنى فرضية فقط لأنك تحبها و تناسب أهواءك و تحقق لك المكاسب ..
- ابحث عن الفرضية الأشمل التي تفسر كل شيء بعدل.
- اسأل نفسك أمام كل دليل تتسلح به للدفاع عن موقفك ، هل هنالك دليل آخر يدحضه ؟ و لا تعمي عينيك عنه ثم تراوغ بالنقاش متجنباً إياه ..

و كمثال حي على هذا البروتوكول لنقارب معاً فرضية الزيتون :

إذا أردت أن تثبت بأن الزيتون أخضر فقط فستجد أدلة كثيرة على ذلك لكنك ستكون على خطأ ، و إذا أردت أن تثبت بأنه أسود فقط فستجد أدلة كثيرة أيضاً ، لكنك تبقى مخطئاً .. أما إذا أردت أن تثبت أنه أخضر و أسود فستجد أدلة أكثر بكثير (فهناك من تدعى سودا و هناك من تدعى خضرا لكنك تصمم على رؤية ما تشاء فحسب لأنك ببساطة تسقط نفسك عليها) و الأهم أنها تدعم النظرية الأشمل و الأصح (الزيتونة اللاشرقية و اللاغربية) ، فالفرضية التي تحاول دعمها هي المعيار لا الأدلة التي بين يديك..

و هكذا هو الله أيضاً : القمر و الشمس .. الشرق و الغرب .. الشمال و الجنوب .. الحرب و السلام .. منبع الضوء المقدس في وسط الظلام .. و كل الأضداد المعروفة في جوهر واحد أحد لا شريك له ، و هو الموجد الذي أوجد الزيتونة و كان لها بمثابة الأب و الأم و العائلة .. أما بخصوص الشواهد الفنية التي تتمسك بها العقول السطحية و تترك المنطق و العقل

مشوهةً بذلك جوهر الله الخالق ، ذاتي القوة و الشامل لكل شيء، فإنني أختم مغالطتنا بالإشادة بأغنية (**نور الشمس**) للفنانة الجميلة **باسكال مشعلاني** ..

لأنها أغنية تزخر بالإشارات التي **تدعم النظرية الأشمل لله** سواء من حيث **الكلمات أو الألحان أو الأسماء أو المشاهد** و التي بالطبع يتعامى المنافقون المزورون عنها و عن ملايين غيرها حول العالم لأنها لا تناسب فرضياتهم الناقصة العوجاء، و هذه الأغنية تذكرني بمقولة الفيلسوف الكبير **بليز باسكال** :

(الحكمة تعود بنا إلى الطفولة)

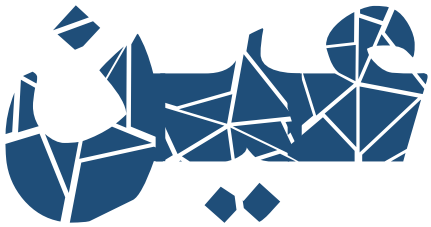

(1000 غيغا بكسل)

هز أوليفر رأسه بدهشة معجباً بالتشبيه و من تتمة الآية، في حين ضغط السيد عزيز الزر منتقلاً إلى الصورة التالية و كانت عبارة عن رمز عالمي مشهور يمثل رمز الديانة التاوية (ييين و يانغ) ..

● أظن أن الصورة تشرح نفسها أليس كذلك ؟

○ بلى صراع النور و الظلام الدائم في الحياة ..

● تماما لكنني أحب أن أضيف شيئاً آخر هنا ..

○ كلي آذان صاغية ..

● كما تلاحظ سيد أوليفر فإنّ النصف الأبيض من الشعار يحوي دائرة سوداء و بالعكس النصف الأسود منه يحوي دائرة بيضاء ..

○ أجل لاحظت، و ماذا يعني ذلك ؟

● يعني أن في قلب كل إنسان يمشي على الصراط

المستقيم شيطان كامن يحاول حرفه عن هذا الصراط و هو ما رمزنا له بالإشباع من النور ثم حب اكتشاف عالم الظلمات ، و بالعكس في قلب كل إنسان تائه ملاك كامن يجذبه مجدداً نحو الصراط المستقيم كونه جرب طريق الظلام فعرف يقيناً بأنه عبثي بلا نتيجة ترجى و نهايته هي الهاوية السحيقة ..

○ كلام بليغ و مذهل ..

● لقد كان البروفيسور ترومان من عشاق رمز التاو هذا، و يصفه بأنه أكثر رمز معبر عبر التاريخ البشري، إذ أن له رغم بساطته الشديدة تفسيرات غزيرة للغاية، و على مستويات متنوعة و مختلفة ..

○ أضم صوتي إلى صوته، إذ يراودني نفس الإحساس عندما أرى هذا الرمز .. و هل هو رمزك المفضل بدورك سيد عزيز ؟

● أنا أعشق شعار التاوية كثيراً لكن رمزي المفضل هو **العين الثالثة** ، أو **عين الإله التي لا تنام**..

○ عين الإله ؟

● أجل ، و لها تسميات مختلفة باختلاف العقائد.. لكنها غالباً ما يشار لها بعين ضمن مثلث يشع منها النور ..

ابتسم أوليفر ..

○ تقصد شعار الماسونية ..؟!

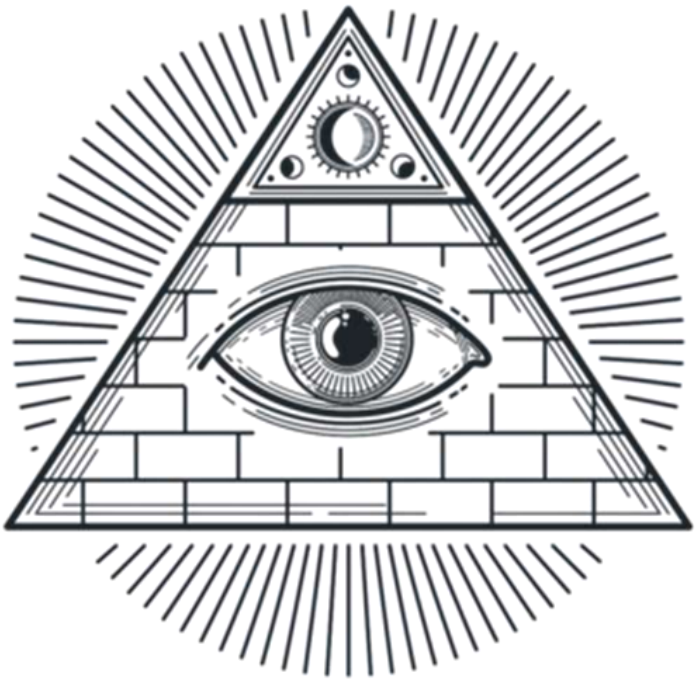

● لا ، عين الإله رمز أقدم بكثير من الماسونية ، فمثلاً هو عند المصريين القدماء **عين حورس** ، كما أنه موجودة عند البوذيين ، الهندوس ، الديانة الكاودائية و عند حضارات و عقائد أخرى ..

لكن أنت محق فهي أشهر ما تكون عند الماسونيين بسبب وجودها على عملة الدولار الأمريكي، العملة الأشهر و الأكثر تداولاً حول العالم ..

○ و لماذا هي رمزك المفضل سيد عزيز ؟

● لأنه مع ارتقاء هرم المعرفة و الحكمة تتفتح بصيرة الإنسان فيرى أشياءً لا يراها الآخرون ، أي أن الناس ترى الشيء أمامها بطريقة معينة تقليدية لكن المستبصر

يراه بطريقة مختلفة تماما ذات أبعاد أخرى ..

و عندما تصل ذروة الهرم و هذا شيء مستحيل بالطبع على الإنسان يمكنك رؤية كل شيء و لا تخفى عليك لا صغيرة ولا كبيرة ، و هي الصفة التي يختص بها الإله لوحده ..

○ و هل لهذا علاقة بالحقيقة الشاملة و هرم النقاط الذي ذكرته منذ قليل ..

● تماما، العين الثالثة هي النقطة الأولى التي تتفرع منها كل النقاط ، هي البذرة ، هي الشرنقة ، و هي النقطة الأولى التي انفجر منها **الكون الأكبر و الكون الأصغر**، هي باختصار : (**الأول بلا بداية**) ..

ابتسم أوليفر ..

○ إن هذه مجموعة أحاج مختلطة و متشابكة .. أظنّ أنني فهمت بعضها فحسب إذ يتعلق بالأحاجي السابقة كما يبدو..

● و ستفهم القسم الباقي مع تقدمك في رحلة البحث عن الحقيقة سيد أوليفر .. ننتقل إلى الصورة التالية ..

****

من أراد أن يعرف نعمة الله عليه فليغمض عينيه ..

إحدى درر الإمام **علي بن أبي طالب** .. عندما يدعو الإنسان ليغمض عينيه للحظة و يتوه في الظلام الحالك فيعرف بالضبط كم النعم الهائلة التي كانت تحيط به و التي يمكن أن يفقدها بلحظة طيش و إلحاد فيصاب بعمى الإيمان و عمى النعم و عمى الحقيقة ..

إن العين أكثر من مجرد عضو كسائر الأعضاء .. ليست مجرد أداة تستقبل الضوء كي يترجمه الدماغ إلى صورة فنتوجه في محيطنا و نتفاعل معه ، بل إن لها أبعاداً أعمق بكثير من هذه الحدود ..

كيف ذلك ؟ تعال لنتعرف سوياً عزيزي القارئ على هذا العضو المذهل من ثلاث مشاهد متتالية :

① **عين التاريخ ..**

② **العين فلسفياً ..**

③ **عين الإله التي لا تنام ..**

لذا افتح عينيك على اتساعهما صديقي و هيا بنا نرى بأم العين أسرار العين الدفينة ..

أولاً ، عين التاريخ :

منذ فجر التاريخ، كانت العين أكثر من مجرد عضوٍ

للرؤية؛ كانت بوابةً بين الداخل والخارج، بين الإنسان والعالم، بين الوعي والمجهول. لم ينل أيّ عضوٍ من الجسد البشري ذلك القدر من التقديس والرهبة كما نالته العين. فقد رآها القدماء مرآةً للروح، عينَ الإله الرقيب، عينَ الشرّ الساحر، وعينَ الحكمة التي لا تنام.

في مصر القديمة، كانت العين محورًا من محاور العقيدة والرمز. فقد قدّس المصريون القدماء **عين حورس**، رمز الحماية والبصيرة والشفاء. تقول الأسطورة إن حورس فقد عينه في معركته مع **ست**، إله الشرّ و الفوضى، ثم أعادها **تحوت**، إله الحكمة، لتصبح العين رمزًا للعودة والنظام بعد الفوضى، والنور بعد الظلمة.

كان المصريّ يعلّق هذا الرمز في عنقه، يعلّقه على جدران المقابر والسفن والقصور، كدرعٍ ضد الشرّ

وكسراجٍ للطمأنينة. ومن هناك انتقلت عين حورس إلى الثقافات المتوسطية، لتتحوّل لاحقًا إلى ما عُرف **بالعين الزرقاء** في التراث الشعبي لحوض البحر المتوسط والشرق الأوسط، رمزًا للوقاية من الحسد والنظر الخبيث.

وفي اليونان القديمة، وُجد الاعتقاد بالعين الشريرة ، حيث ظن الناس أن النظرة المليئة بالحسد يمكن أن تصيب بالمرض أو النحس أو الموت. لذلك علّقوا الرموز الزرقاء والتمائم لحماية أنفسهم من تلك الطاقة السلبية الخارجة من نظرة الآخر. وفي فلسفة اليونانيين، كان البصر هو أسمى الحواس، لأنه يرتبط بالنور والعقل والمعرفة. فقال **أفلاطون** إن العين ليست مجرد وسيلة للإبصار، بل هي مرآة تعكس النفس، ونافذة يدخل منها النور الإلهي إلى الفكر.

أما في الديانات الإبراهيمية، فقد احتلت العين مكانة مهيبة. ففي **اليهودية**، ترد الإشارة إلى عين الرب التي

تراقب الأرض كلها : (**عين الرب على الصدّيقين وأذناه إلى صراخهم**) ، فهي ليست عينًا جسدية، بل رمز للعلم الإلهي الذي لا يغيب عنه شيء. أما في **المسيحية**، فالعين رمز للضمير والنور الداخلي : (**سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرًا**) .. وفي الكنائس القديمة، كثيرًا ما يُرسم مثلث تحيط به أشعة النور تتوسطه عين، يُعرف بـعين العناية الإلهية أو العين التي ترى كل شيء، وهي تمثل حضور الله الدائم ومراقبته للعالم.

وفي **الإسلام**، تحضر العين في مستويات متعددة : في القرآن، تُذكر العين كأداةٍ للمعرفة والتأمل في آيات الكون : (**أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها**) ، كما ترد كرمزٍ للفتنة والحسد : (**وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر**)، ومن هنا جاءت الرقية من العين، أي من النظرة الحاسدة. وفي التصوف الإسلامي، تُذكر العين بوصفها عين القلب ، تلك البصيرة التي ترى ما لا يُرى، وتبصر المعنى في ما وراء الشكل. يقول ابن عربي : (**العين ترى بالله، لا بنفسها، فإن رأت بنفسها عميت عن الحق**)

و في **الهندوسية**، تتجلى العين في شكلٍ آخر: العين الثالثة، **عين شيفا**، عين الإدراك الأعلى، التي تُفتح في منتصف الجبين حين يبلغ الإنسان حالة الوعي الكوني.

ليست هذه العين جسدية، بل روحية، تمثل القوة التي تُبصر الباطن، وتخترق الحجب بين العالم المادي وعالم الروح. في الفنون الهندية، يُرسم شيفا بعين ثالثة مفتوحة، يخرج منها لهيب، رمز النور الذي يحرق الجهل ويكشف الحقيقة.

وفي **البوذية**، تُعبّر العين الثالثة أيضًا عن عين الحكمة، وعن إدراك الدارما (الحقيقة الكبرى في الكون). أما تماثيل بوذا، فتتصف بعيون نصف مغلقة، وكأنها تجمع بين النظر إلى الداخل والخارج في آنٍ واحد، في توازنٍ بين العالمين : عالم التأمل وعالم الواقع.

وفي الشرق الأقصى، في الصين واليابان، ارتبطت العين بـالتنين والعنقاء، مخلوقات الخلق الأولى التي ترى ما لا يراه البشر. في بعض الأساطير، كان خلق

العالم يبدأ حين يفتح التنين عينه للمرة الأولى، فيفيض النور والوعي في الكون. ومن هنا، صارت العين رمزًا للخلق والإدراك، لا مجرد أداة للرؤية.

أما في **الفلسفة الغربية الحديثة**، فقد أخذت العين بُعدًا معرفيًا جديدًا. ففي فكر **ديكارت**، كانت العين رمزًا للذات التي تراقب العالم من موقعها المستقل، بينما في فكر **نيتشه**، تحوّلت العين إلى أداةٍ للقدرة، إذ يرى الإنسان ما يريد أن يراه، لا ما هو كائن بالفعل. وفي الفنون البصرية المعاصرة، أخذت العين شكل المرآة التي تعكس نظرة الإنسان إلى ذاته والعالم؛ فالسرياليون رسموها كبحرٍ أو ككوكب، وكأنها تختزن في تكوينها سرّ الخلق والجنون معًا.

و لم يخلُ تراث من رمزية العين : في الحكايات الشعبية، تُروى قصص عن عيونٍ تبصر الغيب، وعن

عيونٍ تُطفأ حين تنظر إلى ما لا يجوز، وعن عيونٍ تُنير ليل العاشقين.

في **التراث العربي**، كانت العين محور الشعر والغزل، رمز الجمال والدهشة والفتنة. قيل : (العين مرآة القلب)، و (من العيون تُكشف الأسرار) .. كما وُلدت حولها فكرة العين الحسودة، فتجد التمائم الزرقاء، وكلمة (ما شاء الله) تُقال درعًا ضدها، وكأن الإنسان يخشى أن تتحول نظرة الإعجاب إلى سهمٍ من طاقةٍ غير مرئية.

وفي **التراث الفارسي والتركي**، يُسمّى الرمز الأزرق النَظَر **بونجوك**، يُعلّق في البيوت والسيارات والمحالّ، وكأنه تعويذة لدرء الطاقة السلبية. وفي *شمال أفريقيا*، يُرسم كفّ تتوسطه عين، يُعرف بـالخُمسَة أو يد فاطمة، رمز للحماية من العين والحسد، وتعبير عن كفّ الرحمة الإلهية التي تدرأ الشرّ.

وفي الفنون، اتخذت العين مسارًا مزدوجًا : فهي أداة الفنان ومادته في آنٍ واحد. رسمها **ليوناردو دافنشي** بدقّة العالم الذي يرى في الضوء سرّ الحياة، وكرّرها **سلفادور دالي** رمزًا للوعي المتشظي والجنون الإبداعي. وفي السينما، غدت العين محورًا للفكر البصري كله - من عين الكاميرا إلى عين المشاهد - لأن كل سردٍ هو في النهاية فعلُ نظر.

أما في **التراث الصوفي** ، فقد تجاوزت العين معناها الجسدي لتصبح رمزًا للانكشاف. قال الحلاج : (**رأيت ربي بعين قلبي، فقلت : من أنت ؟ فقال : أنت.**) ، وهنا تذوب المسافة بين العين والموضوع، بين الناظر والمنظور. إنها لحظة الاتحاد الكوني، حين تُصبح العين كوكبًا يدور في مدار الحقيقة.

إذن تتجمع في رمزية العين كل الأضداد : النور و

الظلمة، الحسد والحماية، المعرفة والفتنة، الظاهر والباطن. إنها أكثر الرموز تداخلًا في التاريخ الإنساني لأنها تمثل الوعي نفسه ، وعي الإنسان بأنه يُبصر، وأنه يُبصَر.

ومن هنا، يمكن القول إنّ العين ليست عضوًا في الجسد، بل رمزٌ لليقظة الكونية، لتلك الشرارة التي جعلت الإنسان يرى نفسه والكون في ذات اللحظة ..

فالعين، في جوهرها، هي صورة الله فينا، لأنها تَشهد، كما يشهد الله على خلقه. إنها المفتاح الذي يربط بين الرؤية المادية والبصيرة الروحية، بين العلم والإيمان، بين الفلسفة والأسطورة. وكلما أمعن الإنسان النظر في الوجود، اكتشف أن ما يراه في الخارج ليس إلا انعكاسًا لما في عينه الداخلية ، عين الوعي التي لا تنام.

ثانياً ، العين فلسفياً :

ليست العين مجرد فتحة في الجسد، بل نافذة الروح على الوجود. من خلالها يولد العالم في وعينا، ومن دونها يغدو الكون صمتًا لا يُسمع ولا يُرى. فالعين لا تنقل الضوء فقط، بل تخلق المعنى من الضوء؛ إنها الجسر بين الذات والعالم، بين الداخل الذي يشعر، والخارج الذي يُرى. ولهذا كانت الرؤية أول فعل فلسفي في التاريخ حين نظر الإنسان إلى السماء وسأل : **من أنا ؟**

إنّ فعل النظر هو في جوهره بحثٌ عن الحقيقة. فالفيلسوف لا يكتفي بأن يرى الأشياء، بل يريد أن يرى ما وراءها؛ يريد أن ينظر بالعين، ولكن أيضًا من خلالها. هنا تبدأ **البصيرة**، أي تلك العين الثانية التي تنفتح في أعماق النفس، لتبصر الجوهر حيث لا يُرى الشكل. ولهذا ميّز الحكماء بين عينين : **عين الجسد** التي ترى الصور، و **عين العقل** التي ترى الأفكار. الأولى تُبصر الظلال، والثانية تُدرك النور الذي يصنعها.

الفيلسوف الألماني **كانط** رأى أن العين لا تلتقط الحقيقة كما هي، بل تُعيد تشكيلها وفق بنيتها الداخلية. أي أننا لا نرى الأشياء كما هي في ذاتها، بل كما تبدو لنا. وهكذا تصبح الرؤية فعلًا إبداعيًا، لا استقبالًا سلبيًا. بينما اعتقد **أفلاطون** أن العين تملك طبيعة نارية، تتصل بأشعة الكون فتستقبل منه النور والمعرفة، وكأن الرؤية تبادلٌ بين شعاعين : شعاعٍ يخرج منا، وآخر يعود إلينا.

أما **المتصوفة** فذهبوا أبعد من ذلك، فقالوا إن العين لا ترى شيئًا إلا بالله، وإن كل نظرةٍ صادقة هي تجلٍّ للحقيقة الإلهية في العالم. لذلك قال ابن عربي مجدداً : (العين التي ترى الحق هي عين الحق نفسه) ، في هذا القول، تنقلب المعادلة : لم يعد الإنسان هو من يرى الله، بل الله هو الذي يرى بنفسه من خلال عيون الخلق. هنا

تتحول العين من أداة للرؤية إلى مرآة للوجود الإلهي.

ولطالما كانت العين مرادفًا للوعي. فأن ترى يعني أن تكون يقظًا، وأن تكون يقظًا يعني أن توجد. من هنا، تتجلى العلاقة بين الرؤية والوجود : (**أنا أنظر، إذن أنا موجود**) .. العين هي مركز التجربة الإنسانية، لأنها تمنحنا شعورًا مزدوجًا : أننا نرى، وأننا منظورون في الوقت ذاته. الإنسان كائن يُراقب الكون، لكنه أيضًا يشعر بأن الكون يراقبه. إنّ العين التي تنظر إلى العالم تكتشف فجأة أن العالم ينظر إليها أيضًا. وهنا يظهر البعد الميتافيزيقي للرؤية : إنها ليست عملية فيزيائية فحسب، بل حوار بين الوجودين ، بين الوعي والمطلق.

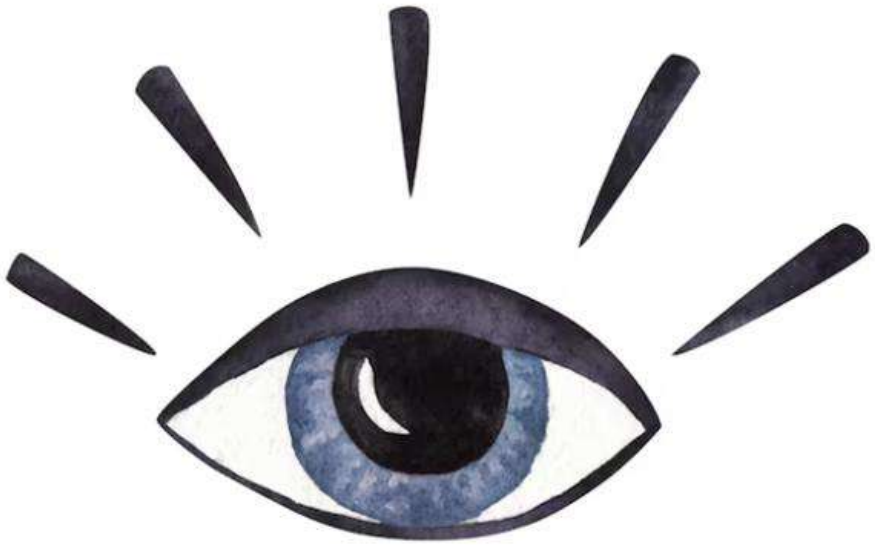

في الفلسفة المعاصرة، نظر **ميرلو بونتي** إلى العين كامتداد للجسد الواعي، وقال إن الرؤية ليست في العين وحدها، بل في الجسد كله الذي يلمس العالم بنظره. حين ننظر إلى جبل، لا تراه العين فقط، بل يراه الوجود فينا؛

فالرؤية نوعٌ من العناق، من التواصل بين الكائن وما يراه.

لهذا، حين يتأمل الإنسان في عيون الآخرين، يشعر أنه يقف على حافة اللامرئي. فالعين البشرية تحمل في بريقها لغزًا لا يُفسَّر ، إنها تشبه السماء حين تنعكس في قطرة ماء : صغيرة، لكنها تحتوي على اللامتناهي. ولعل هذا ما جعل الشعراء يقولون إن العين تحتزل كونًا صغيرًا ، وإن كل نظرة هي سفر نحو المجهول.

العين في الفلسفة ليست أداة معرفة فحسب، بل **رمز للدهشة الأولى**، لتلك اللحظة التي التقى فيها الإنسان بالنور وسأل نفسه : ما هذا الذي أراه ؟ ومنذ تلك اللحظة، لم يتوقف عن السؤال. فالعين ليست فقط ما يجعلنا نرى العالم، بل ما يجعلنا نندهش منه ، **و الدهشة هي أصل كل تفكير فلسفي.**

ثالثاً ، عين الإله التي لا تنام :

ليست عين الله عضوًا فيزيائيًا ولا صورة مجازية للوجه الإلهي، بل هي رمز الإدراك المطلق الذي لا تحدّه الحواس ولا تخطئه الظنون. إنها عين الوجود نفسه، التي **ترى لا لأنها تملك بصرًا، بل لأنها أصل النور الذي يجعل الرؤية ممكنة**. فالذي خلق العيون لا يحتاج عينًا ليرى؛ والذي وهب الإدراك لا يحتاج وسيلة ليدرك.

إنّ عين الله ليست في مكان بعينه، لكنها في كل مكان؛ لا تُطلّ من السماء فحسب، بل تتخلل الوجود كما يتخلل الضوء الذرّة. هي حضورٌ يقظ دائم، لا يغيب لحظة عن مجريات العالم، حتى وإن بدا الكون غارقًا في فوضاه. إنها العين التي ترى ما في الصدور قبل أن تنطق الشفاه، والتي تعرف نية الفعل قبل أن يتحرك الجسد. تلك العين لا تنام لأنها ليست مخلوقة، بل هي يقظة الوجود الأبدية، الوعي الكلي الذي يسكب على العالم طمأنينة مراقبةٍ لا تُخطئ ، الذي يعرف ما يدور دون أن يراه ..

في نظر العارفين، ليست عين الله مراقِبة بالمعنى البشري، بل شهادة للكينونة نفسها. فكل ما يوجد إنما يوجد لأنه منظور إليه من الله. يقول الفيلسوف المسلم

صدر الدين الشيرازي : (وجود الأشياء هو تجلّي العلم الإلهي بها) .. فلو غاب عنها نظر الله، لغابت هي معه. إنّ رؤيته هي التي تحفظ الوجود في حضوره، كما يحفظ الضوء الأشياء من أن تذوب في الظلمة. ولهذا كانت عين الله هي الضوء الذي به يرى كل شيء نفسه.

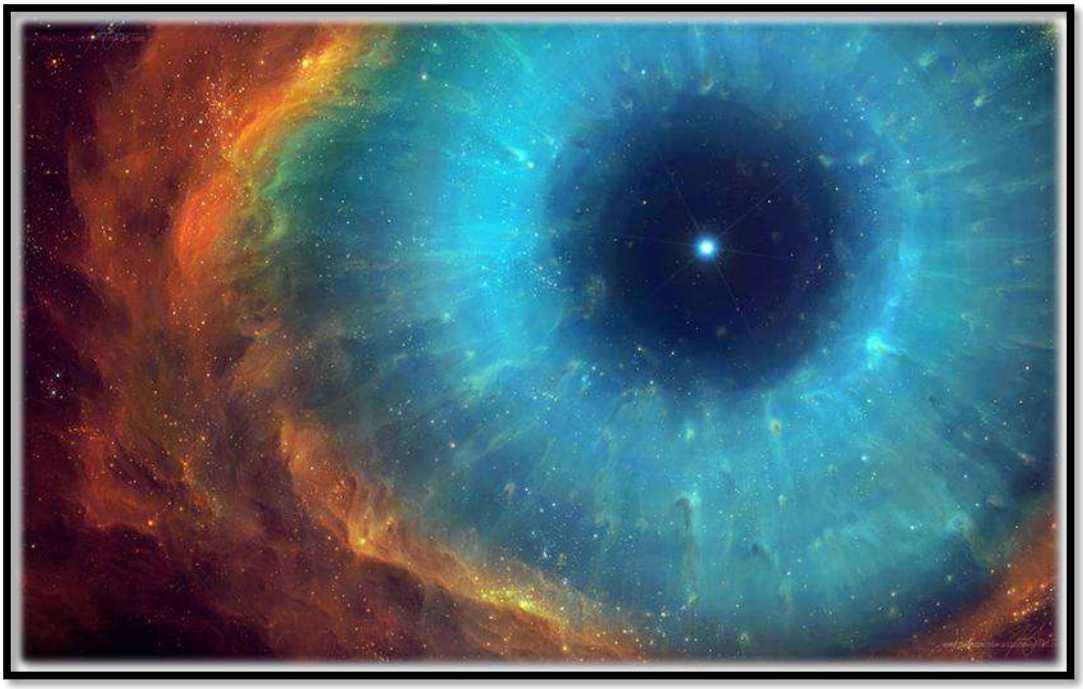

أما في الوجدان الديني، فهذه العين تحمل معنى الرحمة والعدل في آنٍ واحد. هي عين ترقّ على الضعيف، وتُمهل الظالم، لكنها لا تُهمل. يراها الإنسان فوقه حين يخطئ، فيرتجف ضميره، ويرى فيها حضنًا حين يضيع، فيسكن قلبه. إنها ليست عين قاضٍ بل عين أب كوني، تحيط بمخلوقاته علماً وحنانًا، فلا يغيب عنها أحد.

وفي الشعر الصوفي، ترد عين الله بوصفها عين المحبة المطلقة التي ترى الخلق بذات اللطف الذي أوجدتهم به.

يقول **جلال الدين الرومي** :

(حين تظن أن لا أحد يراك، تذكّر أن النور الذي يراك هو أنت.)

فالعين الإلهية ليست بعيدة عنا، بل هي مقيمة فينا؛ في الوعي الذي يشعر بالذنب قبل العقاب، وفي الندم الذي يسبق التوبة، وفي النور الخفي الذي يجعل القلب يفرّق بين الخير والشر دون أن يُقال له ذلك. إنّ إدراك الله ليس مراقبةً من الخارج، بل سكنى في الداخل.

وحين ننظر إلى السماء، لا نرى عينًا محدّقة، بل نرى مرآةً كبرى تعكس وعينا ذاته. فالسماء تراقب لأننا نحسّها حاضرة، ونجومها تشبه عيونًا لا تغفو، لكنها في حقيقتها إشاراتٌ إلى حضور أوسع : **حضور الوعي الإلهي الذي يدرك الأشياء في لحظتها، دون حاجة إلى زمان أو مسافة.**

تلك هي عين السماء التي لا تنام ، لا لأنها تتعب أو تسهر، بل لأنها ليست في زمن أصلاً. إنها الوعي المتجاوز الذي يحفظ الكون قائمًا على نظامه، في كل لحظة من اللانهاية. ولو غمضت تلك العين، لانطفأ الوجود بأسره، كما ينطفئ الحلم إذا استيقظ صاحبه.

فعين الله ليست رقيبًا على الحياة، بل هي الحياة التي

ترى نفسها من خلالنا. وكل ما نراه نحن ليس إلا انعكاسًا صغيرًا لتلك الرؤية الكبرى. **وإذا كانت العيون البشرية تبصر بالأشعة، فإن عين الله تبصر بالوجود ذاته. إنها الرؤية التي لا تحتاج إلى نظر، لأنها علمٌ محض، وإحاطةٌ بلا حدود.**

****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**عين**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= العين عضو كبقية الأعضاء منوط به مهمة محددة ..

بل أن نقول :

= العين أكثر بكثير من ذلك .. هي رمز لأديان و نظريات و ثقافات .. هي فلسفة متجسدة بحد ذاتها .. و هي رمز للإله الذي لا يغفل عما يدور في الأرجاء حتى و إن لم يره فالإدراك جزء من كينونته ، و بالطبع العين هي مرشدنا الأجمل لإدراك نعم الله علينا و التي نعيها بالضبط عندما نفقدها بأن نغلق عينينا و لو لوهلة ..

البعض يحاول ظلماً و تزويراً اختزال العين إلى البؤبؤ كمن يختزل الكاميرا إلى عدستها .. لكن في الحقيقة العين هي كيان متكامل .. جفنان من أب و أم ، شمس و قمر ، كصدفتي محارة تحتضنان بينهما مادة بيضاء

ناصعة و قزحية ملونة بألوان الطيف تمنح كل شخص بصمته الفريدة و بؤبؤ أسود يمر فيه الضوء إلى مستقره الأخير على الشبكية .. إن كرة العين أشبه بالكرة الأرضية و أشبه بالكون نفسه تختزل في تكوينها كل الوجود بكل تناقضاته و أبعاده و **كأنها ليست نافذة لرؤية مشهد بل لرؤية الوجود برمته ..**

في الختام ، هنالك علوم لا نتعلمها في جامعات الأرض يا صديقي حتى و إن كانت جامعة **عين شمس** بل في جامعة السماء ذاتها كالعلوم الإلهية على سبيل المثال عندما يكون الله في المركز و تدور الكواكب في فلكه..

انكماش الزمن

(الوقت الشبحي)

= كيف قضيت أمسيتك بالأمس يا صديقي ؟

= مكثت في المنزل ، احتسيت كأساً من المتة و شاهدت برنامجاً وثائقياً شيقاً و غريباً ..

= جميل .. و ما موضوعه ؟

= تحدث عن مفهوم **الوقت الشبحي** ..

= عنوان غريب .. و هل هو شيء حقيقي أم خيال علمي ؟!

= حقيقي بالطبع .. هو فكرة أن هناك فترات زمنية نمر بها دون أن نعيها فعلياً، كأنها لا تترك أثراً في وعينا. بعض الفلاسفة يصفونه بالزمن الذي نعيش فيه جسدياً، لكننا غائبون ذهنياً، فيصبح مجرد ظلّ للوجود.

= و هل له أي أساس علمي ؟

= جزئياً، نعم. هناك بعد تاريخي لتفسيره : بعض الباحثين اقترحوا أن أجزاءاً من التاريخ قد أُضيفت أو اختُرعت في سجلاتنا، كما يقول **هيريبيرت إيلغ** عن ثلاث قرون من العصور الوسطى التي لم تحدث وفق فرضيته، وهو ما أسماه الزمن الشبحي تاريخياً. أما من الناحية العلمية الحديثة، فهو يرتبط بإدراك الدماغ للوقت. الدماغ البشري لا يشعر بكل لحظة بنفس القدر؛ عندما تكون الأحداث متكررة وروتينية، يُختصر إدراكها في الذاكرة، فيبدو الزمن أسرع.

= إذاً، الوقت الشبحي قد يكون مجرد إحساس ؟

= ليس بالضرورة فقط إحساساً. الفيزياء الحديثة تقول إن الزمن نسبي، يمكن أن يتمدد أو ينكمش بحسب السرعة والجاذبية، كما في النسبية. الوقت الشبحي يظهر حين تتسارع الأحداث أو يقل وعينا بها، فنشعر بأن الأيام تمر دون أن نلحظها.

= أهذا يعني أن كل لحظة لا نعيها تتحول إلى جزء من هذا الوقت الشبحي ؟

= بالضبط. كل مرة نعيش فيها الروتين دون حضور كامل، كل مرة ننجرف في التفكير بالماضي أو المستقبل، تصبح تلك اللحظة شبحيّة لأنها لم تُعش بوعي. يمكن القول إن هذا الزمن غير محسوس، لكنه يشكل جزءاً من نسيج حياتنا.

= إذن الحل هو حضور اللحظة ؟

= نعم. حين نعيش كل لحظة بوعي كامل، نخرج من الزمن الشبحي. كلما ازداد وعي الإنسان بالحاضر، صارت اللحظات أكثر كثافة ومعنى، وعاد الزمن الحقيقي ليملأ تجربتنا بدلاً من أن يكون مجرد ظل يمرّ بيننا.

= على سيرة الزمن ، أتعلم .. أشعر هذه الأيام بأن الوقت يمر بسرعة أكثر من قبل .. هل تشاطرني هذا الإحساس ؟!

= محق .. أشعر بذات الشيء ..

= و هل هنالك تفسير علمي لذلك ؟

= بالطبع .. إن القصة كلها تتمحور حول نسيج الزمكان حيث ينكمش أو يتمطط فيجن جنون الساعة ..

= و كيف ذلك ؟

= تعال لأحدثك أكثر عن النسيج الزمني العجيب ..

****

و إن يوماً عند ربك كألف سنةٍ مما تعدون ..

آية قرآنية فريدة تشير إلى حقيقة علمية مذهلة أن الوقت ليس ثابتاً بل يتأثر بعوامل عديدة تؤثر في نسيج الزمكان على خلاف المعرفة الشائعة بين كثير من الناس بأن الوقت مفهوم ثابت ، جامد و منضبط بشكل صارم ، فهذه مجرد مغالطة زمنية من الشيق أن نتناولها بدورها عزيزي القارئ ، فنعبث معاً بنسيج الزمكان و نترقب إلامَ ستؤول الأمور عندها ..

فهيا بنا في رحلة عبر طيات النسيج الزمني تمر عقاربها على ثلاث أرقام :

① وهم الوقت ..

② انكماش الزمن ..

③ تباطؤ دورات الأرض ..

ضع مفاهيمك التقليدية جانباً و هيا بنا نخوض مغامرة شيقة و فريدة من نوعها في عالم اللامألوف ..

أولاً ، وهم الوقت :

الوقت... ذلك الخيط الخفي الذي يتسلل بين أصابعنا

دون أن نراه، لكنه يحكم كل تفاصيل حياتنا. نقيس به أعمارنا، وننظّم به أيامنا، ونبني عليه أحلامنا، ومع ذلك يظل أكثر المفاهيم مراوغة في الوجود. **هل الوقت حقيقة موضوعية تجري خارجنا بثبات، أم أنه مجرد وهم صنعه الوعي البشري ليمنح الفوضى معنى ؟**
كثير من الفلاسفة والعلماء رأوا في الوقت وهماً أنيقاً، ستاراً نعلّق عليه إدراكنا المحدود للحركة والتغيّر.
فالكون، في جوهره، **لا يعرف الماضي ولا المستقبل** كما نتصوّره؛ إنه كتلة واحدة من الوجود، تتجلّى في **آنٍ أبديٍ لا بداية له ولا نهاية.**

نحن من اخترعنا عقارب الساعة كي نضبط فوضى الشعور، ونقيس ما لا يُقاس. **فاللحظة التي نسميها الآن** ليست سوى نقطة خادعة تتحرك معنا أينما ذهبنا، مثل ظلّ لا يمكن القبض عليه. الفيزياء الحديثة، منذ أينشتاين، قلبت مفهوم الزمن رأساً على عقب : فالزمن ليس نهراً يجري مستقلاً عن المادة، بل بُعدٌ متشابك مع

المكان، ينحني ويتمدد بحسب الكتلة والسرعة. بل إن بعض **النظريات الكوانتية** تشير إلى أن الزمن قد لا يكون موجوداً أصلاً على المستوى الأساسي للواقع، وأنه مجرد خاصية تظهر حين يتفاعل الوعي مع الكون، كما تظهر الصورة على شاشة حين يمر الضوء عبر العدسة.

الوهم إذن ليس في مرور الوقت، بل في شعورنا بأنه يمر. نحن من نصنع تسلسل الأحداث في عقولنا، كما يرتب القارئ صفحات رواية ليصنع منها معنى.
الماضي لا يعيش إلا في الذاكرة، و المستقبل لا يوجد إلا في التوقّع، أما الحاضر فكلما حاولنا الإمساك به انزلق إلى الأمس. لهذا قال الحكيم :

(ليس هناك وقت إلا الآن، والآن لا زمن له)

إنّ إدراكنا الخطيّ للزمن هو قيدٌ ذهني، يجعلنا نتصور أننا نسير إلى الأمام بينما نحن في الحقيقة نتحرك داخل نسيج واحد من الوجود، تتبدّل فيه زوايا النظر فقط.

ولعلّ وهم الوقت هو ما يجعلنا نخاف الشيخوخة، ونحزن على الفقد، ونركض نحو الغد كمن يطارد سراباً. لكن حين يسكن الوعي في لحظته، حين يتخطى الإحساس بالانفصال بين ما كان وما سيكون، يكتشف أن **كل شيء قائم في الآن السرمدي** ، وأن الماضي والمستقبل مجرد ظلال لحقيقة واحدة. عندها يصبح

الزمن صديقاً لا سجّاناً، ويذوب الوهم في بصيرة ترى أن الخلود ليس امتداداً للأيام، بل عمق اللحظة التي تعي ذاتها.

فالوقت، في نهاية المطاف، ليس ما نراه على الساعة، بل ما نحسه في القلب. إنه المرآة التي تعكس وعينا، والوهم الذي يكشف عن الحقيقة : أننا لسنا كائنات محكومة بالزمن، بل **وعي أزليّ** يراقب تحرّك عقارب الوجود، مبتسماً لدهشة من يظن أنه يشيخ بينما هو، في جوهره، لا يزول.

ثانياً ، انكماش الزمن :

تأمل يا صديق هذه الفكرة الغريبة : ماذا لو أن عقارب الساعة نفسها بدأت تدور أسرع، لا بفعل خلل ميكانيكي، بل لأن الزمن ذاته تسارع ؟ ماذا لو كانت وحدات الوقت التي نعيشها اليوم – الدقيقة، الساعة، اليوم – لم تعد تساوي ما كانت تساويه قبل قرون أو حتى عقود ؟ لو حدث هذا فعلاً، فلن نشعر به، لأن كل ما نقيس به الزمن يتسارع معنا في اللحظة نفسها. ستظل الساعة تشير إلى دقيقة والدقيقة ستظل تحوي ستين ثانية، لكن تلك الثواني نفسها ستكون أقصر، كأن نسيج الزمن نفسه انكمش دون أن ندرك. هذه الفكرة، على بساطتها، تحمل رائحة لغز كوني عميق : **هل يمكن أن يتغير الزمن دون أن نلحظ ؟**

ففي الفيزياء الحديثة، الزمن ليس ثابتا مطلقا كما ظنّ نيوتن، بل مرن، يتمدّد وينكمش بحسب السرعة والجاذبية والطاقة. الزمن بالقرب من ثقب أسود يسير أبطأ مما هو على الأرض، والزمن في القمر يختلف عنه في سطحنا الأزرق. إذن من حيث المبدأ، يمكن للزمن أن يتسارع أو يتباطأ حقاً. لكن لو تسارعت كل أنظمتنا معه – نبضات قلوبنا، تفاعلات خلايانا، دوران الأرض حول نفسها – فلن نلاحظ شيئاً. سنظن أن كل شيء كما هو، رغم أن الكون من حولنا صار يرقص بإيقاع أسرع، وأن أيامنا صارت أقصر مما كانت دون أن ندري.

ربما ما نشعر به اليوم من انكماش للزمن ليس خيالاً شعورياً فقط، بل انعكاس لتحوّل كوني دقيق.
فالتكنولوجيا، الإشعاع الكهرومغناطيسي، تسارع نبض الحضارة، كلها **تخلق مجالاً زمنياً متوتراً**، كأن الحضارة نفسها تولّد عجلة غير مرئية تُسرّع مرور الأيام. نحن نعيش في عالم متخم بالمعلومات، تتزاحم فيه اللحظات وتفقد الزمن معناه. تتسارع الأحداث على الشاشات والعقول، فيبدو اليوم كأنه ساعة، والعام كأنه

شهر. ومع هذا التكدّس، يضغط الوعي الإنساني نفسه في مساحة زمنية أضيق، فينشأ وهم أو ربما حقيقة بأن الزمن فعلاً ينكمش.

ولو صحّ هذا، فنحن نعيش مرحلة كونية فريدة، حيث يتقلص النسيج الزمني كما تنكمش قطعة مطاط مشدودة. ربما نحن نقترب من **نقطة تفرّد زمنية** حيث تتقارب الأحداث بسرعة متزايدة إلى حدّ لا يمكن للوعي البشري مجاراته. وربما تكون هذه هي العلامة الأولى لتحول في إدراكنا الزمني الجمعي، استعداداً لوعي جديد بالوجود لا يُقاس بالثواني بل بالشدة والعمق.

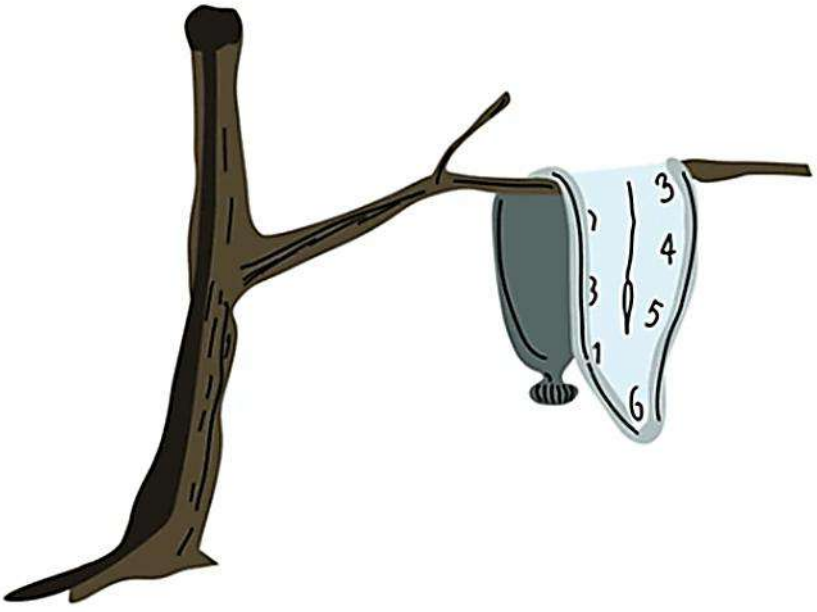

الزمن الذي نعرفه ليس سوى الترجمة الإدراكية لحركة الكون، ولو تغيّرت تلك الحركة، سيتغيّر إدراكنا بالضرورة. نحن نحيا داخل موجة زمنية، وإذا تغيّر ترددها سنتغير معها دون مقاومة، كما ينساب السمك

داخل تيار البحر دون أن يعرف أنه يتحرك. وهكذا، قد يكون إحساسنا بأن الأيام تمرّ بسرعة هو الصدى الداخلي لاهتزاز كونيّ أكبر، نغمة خفية في سمفونية الوجود تتسارع شيئاً فشيئاً، تدعونا أن ننتبه قبل أن **يطوي الوقت نفسه، ويصير الماضي والمستقبل لحظة واحدة لا نميز بدايتها من نهايتها.**

في النهاية، سواء كان الزمن يتسارع فعلاً أم أن وعينا هو الذي يلهث، فإن النتيجة واحدة : نحن نفقد القدرة على التوقف. وربما يكون الخلاص الوحيد هو أن نبطئ من داخلنا، أن ننسحب من دوامة الإيقاع الخارجي ونستعيد الإحساس باللحظة. فحين يسكن المرء تماماً في **الآن** ، يتوقف الزمن عن الجري، **كأن الوعي يصبح أقوى من عقارب الساعة**. وحينها فقط نفهم أن الزمن، بكل أوهامه و تسارعاته، لم يكن يوماً شيئاً خارجنا، بل كائناً يعيش فينا، يتنفس بإيقاع أفكارنا، ويتمدد أو ينكمش بقدر ما نعرف معنى الحياة.

ثالثاً ، **تباطؤ دوران الأرض** :

لا بد من التأكيد على أن فكرة انكماش الزمن تختلف جوهرياً عن تباطؤ الوقت الناتج عن بطء دوران الأرض، رغم أن كليهما يتحدث عن تغيّر في إيقاع الزمن الذي نعيشه. والخلط بينهما شائع، لكنه يشبه الخلط بين من ينظر إلى حركة عقارب الساعة في يده،

ومن يتأمل نسيج الزمن نفسه من وراء الستار الكوني.

فعندما نقول إن الأرض تبطئ دورانها حول محورها، فنحن نتحدث عن ظاهرة فيزيائية فلكية دقيقة وقابلة للقياس. العلماء رصدوا فعلاً أن **دوران الأرض يتباطأ بمقدار جزءٍ صغير من الثانية كل قرن**، بسبب الاحتكاك بين المدّ والجزر الناتج عن جاذبية القمر. هذا التباطؤ يعني أن اليوم – الذي كان في الماضي أقصر بقليل – يزداد طوله تدريجياً. ولكن هذا التغيير ضئيل جداً لدرجة أن الإنسان لا يشعر به في حياته اليومية، فهو يؤثر فقط على الحسابات الفلكية الدقيقة وعلى **الثانية الكبيسة** التي تضاف أحياناً إلى **الساعات الذرية** لمواءمة الوقت مع دوران الأرض. في هذه الحالة، الزمن نفسه لم يتغير، بل إن وحدة قياسنا له – اليوم الأرضي – تمددت قليلاً بسبب بطء دوران الكوكب.

أما انكماش الزمن، فهو مفهوم مختلف تماماً، أقرب إلى الفلسفة أو إلى الفيزياء النسبية العليا. عندما نقول إن الزمن ينكمش، فإننا نعني أن نسيج الزمن ذاته يتقلّص، لا لأن الأرض تبطئ، بل لأن الوعي أو الكون نفسه يغيّر إيقاعه الداخلي. فلو انكمش الزمن فعلاً، فإن الثانية الواحدة ستصبح أقصر من قبل دون أن نلاحظ، لأن كل أدوات قياسنا (الساعات، نبض القلب، دوران الأرض، التفاعلات الكيميائية) ستنكمش معها في التوقيت نفسه. سيكون الانكماش إذن ظاهرة داخلية مطلقة لا تُقاس، بل تُحسّ من خلال التجربة الوجودية : **شعورنا بأن الأيام تمرّ أسرع، وأن الأعوام تتبخر كأنها لحظات.**

بتعبير آخر، تباطؤ دوران الأرض هو تغيّر في حركة كوكب داخل الزمان، بينما انكماش الزمن هو تغيّر في طبيعة الزمان نفسه. الأول ظاهرة مادية محدودة في الإطار الفلكي، والثاني احتمال ميتافيزيقي أو نسبي

يمسّ جوهر الوجود.

وهذا هو الفرق بين المقاييس الخارجية والداخلية للزمن. **التباطؤ الأرضي يُقاس بالأجهزة، أما انكماش الزمن فلا يُقاس إلا بالوعي.** الأول يمكن تفسيره بمعادلات الجاذبية وحفظ الطاقة، والثاني يفتح الباب أمام تأملات في طبيعة الإدراك والعلاقة بين الوعي والكون. لذلك، حين نشعر أن الوقت في عصرنا يمضي أسرع من قبل، فذلك لا علاقة له بالبطء الطفيف في دوران الأرض، بل ربما هو انعكاس لتحول أعمق في الوعي الجمعي، في إيقاع الحضارة، أو حتى في النسيج الكوني نفسه.

إن **بطء دوران الأرض مسألة فلكية باردة، لكن انكماش الزمن سؤال وجودي ساخن**، يخصّ الإنسان في صميم تجربته مع الحياة. الأول يضيف ثانية إلى الساعة، أما الثاني فيسلبنا الإحساس بالساعات كلها.

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**انكماش الزمن**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الوقت مفهوم ثابت في كل زمان و مكان و بعيد عن التغيرات المكانية المعروفة ..

بل أن نقول :

= الزمن نسيج بحد ذاته كنسيج المكان بالضبط ، ينكمش و يتمدد في ظروف معينة و بتأثير عوامل خاصة ، لذا لا نستبعد أن يكون اليوم في زمننا الراهن أقصر مما كان من قبل دون أن نشعر لأن عقارب الساعة تآمرت مع الزمن لخداعنا دون أن نشعر ..

يميل الفنانون و الأدباء إلى توصيف لحظات الفراق و البعد عن الحبيب بالقول : (**يومي في بعدك سنة**) أو ربما ألف سنة ، لكن أليس أجمل أن يقولوا : (**سنتي في بعدك يوم ، فأنا أسابق الزمن و عقارب الساعة كي ألتقي بك**) .. ؟!

لعل هذا يفسر الشعور الراهن بأن الوقت أصبح أقصر مما عهدناه فنحن على بعد بضعة أمتار فقط من لقاء محبوبتنا ..!!

رقم 9

(رمضان و أيلول)

منذ فجر الحضارات، آمن الإنسان بأن الكون لم يُخلق اعتباطًا، بل بميزان دقيق ونظام عددي مقدّس. وفي قلب هذا النظام، يتجلّى الرقم **9** كعلامة على القانون الخفي الذي يحكم الوجود من الداخل.

لقد رأى القدماء أن الأعداد ليست مجرد أدوات للعدّ، بل هي رموز كونية، لكل عددٍ منها نغمة واهتزاز، كما لكل كوكب لحنٌ خاص في سيمفونية الوجود. ومن بين هذه النغمات، كانت التسعة الذروة الموسيقية للخلق، الرقم الذي يغلق الدائرة ويعيدها إلى الصفر في انسجام تام.

في الهندسة المقدسة - ذلك العلم الذي يجمع بين الرياضيات والروح - يحتل الرقم تسعة مكانة مركزية في تصميمات مثل زهرة الحياة، وبذرة الحياة، ومكعب متاترون.

هذه الأشكال ليست مجرد زخارف هندسية؛ بل تمثل البنية الرقمية للكون، تلك التي تتكرر في كل شيء، من الذرات إلى المجرات.

فزهرة الحياة، المكونة من دوائر متداخلة، تضم في نواتها تسع نقاط أساسية تشكّل نمط التكوين، كأن الرقم تسعة هو النبض الخفي الذي ينفخ الروح في الشكل.

كل دائرة من هذه الدوائر التسع تمثل مرحلة من مراحل الخلق، من المركز الإلهي حتى التجلّي المادي، في تتابع يشبه تماماً مراتب النفس التسع التي مرّ بها الإنسان في وعيه.

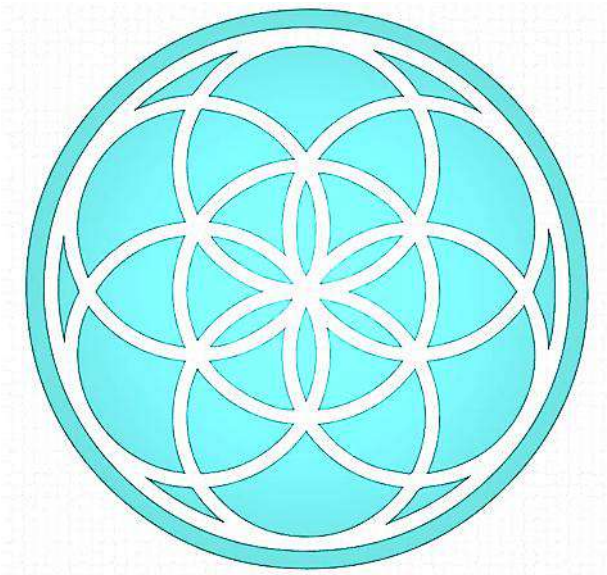

أما في النسبة الذهبية (**1.618**)، التي تُعدّ المفتاح الرياضي للجمال في الطبيعة والفن، فإن الرقم تسعة يتكرر في التحليل الرقمي الخفي لهذه النسبة. فالنتائج المتسلسلة في القسمات العشرية للنسبة الذهبية تعود مراراً إلى مضاعفات التسعة، كما لو أن الجمال نفسه - في عمقه - مبني على تناغم تساعي غير مرئي.

حتى اللوغاريتمات الموسيقية، ومضاعفات الترددات الصوتية، تميل إلى القيم التي تنتهي بالرقم تسعة، كأن الاهتزاز الكوني نفسه يجد راحته في هذا الرقم، الذي يجمع ولا يفرّق، يوازن ولا يختلّ.

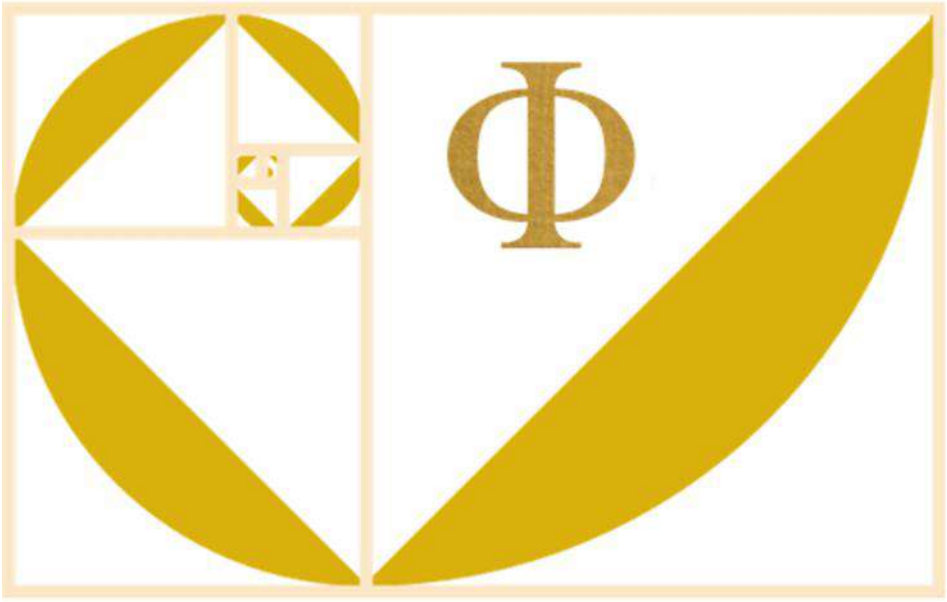

ويقول نيكولا تسلا - أحد أعظم العقول العلمية في القرن العشرين - عبارته الشهيرة:

(لو كنتَ تعرف سرّ الأرقام 3 و 6 و 9 ،

لأمسكتَ مفتاح الكون)

فهو كان يرى أن الكون كله مبني على تسلسل ثلاثي يتوّجه الرقم تسعة، إذ تمثل الثلاثة البذرة، والستة النمو، والتسعة الاكتمال.. و أنا فخور بأن هذه الأرقام هي النداء الدولي لبلدي العزيز سوريا مما يعزز مكانتها ..

ولاحظ أن جميع الظواهر الموجية والكهرومغناطيسية تخضع لإيقاعات تتوافق بشكل مدهش مع مضاعفات

هذه الأرقام، وكأن الرقم تسعة هو التردد الأعلى للوعي الكوني الذي ينظم الطاقات في شكلها الأنسب.

في الهندسة الروحية القديمة، وخصوصاً في مدارس **الهرمسية والقبّالة والفيثاغورية**، كان يُعتقد أن الرقم تسعة هو الرقم الذي يربط العالم المرئي بالعالم غير المرئي. فهو **البوابة التاسعة** التي عبَر منها الأنبياء والعرفاء في رحلاتهم نحو العوالم العليا.

حتى في رمزية الأهرامات، نجد أن عدد الأهرامات الرئيسية في هضبة الجيزة هو ثلاثة، لكن تصميمها قائم على تقسيمات ثلاثية في ثلاث مستويات - أي تسعة في المجموع - كما لو أن المعماري القديم أراد أن يجعل من الحجر نشيدًا رقمياً للسماء.

ويكشف العلم الحديث، في فيزياء الطاقة والموجات، عن علاقة مدهشة بين الرقم تسعة والدورات الطبيعية للكون. فدورات الشمس والمجال المغناطيسي الأرضي والأنماط الزمنية للنشاط الشمسي تميل إلى التكرار كل

تسع سنوات تقريباً، مما جعل بعض العلماء يشيرون إلى وجود إيقاع تساعي في الحياة الكوكبية نفسها.

كما أن الذرات التي تحتوي على تسعة إلكترونات (كالفلور) تتمتع بقدرة عالية على الارتباط الكيميائي، كأن الرقم تسعة في التركيب الذري يمثل ذروة الجاذبية والتفاعل، قبل أن تبدأ الدائرة من جديد مع العنصر التالي.

في الفنون المعمارية والطقسية القديمة، خضعت المعابد، والمساجد، والكنائس إلى نسب هندسية تساعية متكررة.

ففي معبد أنغكور وات في كمبوديا، نجد تسع أبراج ترمز إلى تسع مراحل من السماء.

وفي العمارة الإسلامية، تتكرر التسعات في تشكيلات القباب والمقرنصات، وكأن البنّاء كان يدرك أن الرقم تسعة يوصل المادة بالروح، والحجر بالسماء.

حتى في الخط العربي والزخارف القرآنية، نلحظ ميلاً إلى التقسيم التساعي، في السطر، والفراغ، والتماثل، كأن الفن نفسه يطيع قانوناً كونيًّا لا يُرى.

من منظور الهندسة الكونية، يمكن النظر إلى الرقم تسعة باعتباره التجسيد الرياضي للعودة إلى الوحدة.

في الرياضيات، إذا جمعت أرقام أي مضاعف من مضاعفات التسعة، ستعود دوماً إلى تسعة. هذه الخاصية البسيطة والمذهلة هي ما جعل بعض العلماء القدماء يرون فيه العدد الذي لا يفنى، لأنه يحفظ جوهره مهما تبدّلت أشكاله.

وهكذا يصبح التسعة هو المبدأ الأبدي للثبات في التغيير ، القانون الذي يضمن للكون اتزانه وسط الحركة المستمرة.

في الفلسفة الروحية الحديثة، وخصوصاً في مدارس الهندسة الوعيّة ، يُقال إن الرقم تسعة هو بصمة الخالق في الخلق. فهو الرقم الذي يربط الميكروكوزم (العالم

الصغير في داخل الإنسان) بالماكروكوزم (العالم الكبير في الكون).

كل شيء - من نسب وجه الإنسان إلى دوران المجرات - يخضع لنظام رقمي يدور في تسعات، كما لو أن الوجود كله يعزف نغمة واحدة بتسع درجات، تتكرر بلا نهاية.

حين ننظر إلى الرقم تسعة من منظور الرياضيات المقدسة والهندسة الروحية، ندرك أن الكون نفسه مكتوب بلغة الأعداد، وأن التسعة هو السطر الأخير في هذه القصيدة الرقمية الكبرى.

إنه الرقم الذي يجمع النهاية بالبداية، السماء بالأرض، الماديات بالروحانيات ، و الشمس بالقمر كما في شعار التاوية بالضبط .

هو الرقم الذي يحرس الباب بين العالمين : عالم الأشكال وعالم المعاني.

في لحظة تأمل، حين يغلق الإنسان عينيه ويرى الأشكال الهندسية تتكوّن في وعيه - مثل دوائر متداخلة ونسب ذهبية تتفتح كالزهور - يدرك أن الرقم تسعة ليس فكرة، بل نبض داخلي. نبض يقول له إن كل شيء يعود إلى أصله، وإن النظام الكوني ليس سوى مرآة لما في داخله هو.

فالتسعة ليست رقماً نعدّ به، بل إيقاع نعيش به.

إنه التوقيع الإلهي على معمار الوجود، والرمز الذي يهمس للوعي الإنساني :

(كل دائرة تنتهي عند تسعة ... لتبدأ من جديد في صِفرٍ يضيء)

****

رقم 9 ..

قد يعتقد كثير من البشر – في مغالطة جائرة – أن الرقم تسعة هو مجرد عدد كغيره من الأعداد ، لكن في الحقيقة و كما رأيت بنفسك عزيزي القارئ من مقدمتنا أنه رقم سحري و مقدس يختزل الوجود في طياته ، و إن كان ما سبق لم يقنعك بعد ، فتعال لأحدثك أكثر عن هذا الرقم المذهل كي تتيقن بنفسك من هذه الحقيقة ..

و سأحاول إنجاز ذلك عبر التطرق إلى تسعتين من زاويتين :

① رقم 9 في عيون التاريخ ..

② رقم 9 في عيون السماء ..

فهيا بنا في مغامرتنا الشيقة يا صديقي فقد اكتملت تسعة شهور من الحمل و آن أوان أن تبصر التسعة النور و هي مصدر النور الأساسي في الوجود .. بل إنها الرحم الأول و الأشمل الذي أوجد الوجود بعينه ..

أولاً ، رقم 9 في عيون التاريخ :

يبدو الرقم تسعة، في بساطته الشكلية، رقمًا عادياً بين الأعداد كما قلنا ، لكنه في عمق الرؤية رمز متجاوز، تكرّر حضوره في كل الثقافات وكأنه ينسج خيطًا خفيًا من النظام الكوني الذي لا يراه إلا من ينصت إلى إيقاع الأعداد كما ينصت العارف إلى أنفاس الوجود. فمن الصين إلى مصر القديمة، ومن الحضارة الإغريقية إلى الهند، ومن التصوف الإسلامي إلى الفنون الحديثة، كان للرقم تسعة حضورٌ غامض، يتكرر في الأساطير والعمارة والفكر كأنّما هو رقم الاكتمال الأخير قبل الانفجار نحو العشرة، رمز الدائرة الجديدة.

في **الصين القديمة**، كان الرقم **9** يُعتبر رقم السماء والإمبراطور. ذلك لأن السماء عندهم ذات تسعة مستويات، والإمبراطور هو الوسيط بين الأرض وهذه الطبقات التسع. حتى القصور الإمبراطورية بُنيت وفق

هندسة خاضعة لتسعات متكررة : تسعة أبواب، تسعة صفوف من المسامير على الأبواب، تسعة أعمدة، وتسعة تنانين منحوتة على الجدران. كان الصينيون يرون في الرقم تسعة قوة كونية موجبة تمثل الين واليانغ في توازنهما الأقصى قبل العودة إلى البدء. في فن **الفينغ شوي**، أيضاً، يُعتقد أن تسعة هو الرقم الذي يفتح الدائرة الطاقية للتمام، حيث يرمز إلى النهاية التي هي بداية أخرى.

أما في **الحضارة المصرية القديمة**، فقد كان الرقم تسعة مقدسًا بشدة لأنه يجسد **تاسوع هليوبوليس** ، أي مجموعة الآلهة التسعة التي خلقت الكون بحسب معتقداتهم : **رع، شو، تفنوت، جب، نوت، أوزوريس،**

إيزيس، ست، ونفتيس (هم ثمانية في الحقيقة لأن ست طرد خارج رحمة رع) كل إله منهم يمثل مبدأ من مبادئ الطبيعة والخلق، وكلهم معًا يشكلون وحدة كاملة. ومن هنا نشأ الوعي بأن التسعة تحتوي الكلّ في ذاتها، وأنها آخر الأعداد الفردية قبل أن يدخل الكون طور التكرار والدوام.

وفي **الحضارة الإغريقية**، تجلى الرقم تسعة في صورة التسع ربات للفنون، وهنّ بنات الإله زيوس وذاكرة الكون **منيموسيني** ، ويمثلن الإلهام في الموسيقى والشعر والتاريخ والفلسفة والتراجيديا والكوميديا والفنون الأخرى. فكان الإغريق يؤمنون بأن من يقترب من هذا الرقم يقترب من ينبوع الإبداع والإلهام الإلهي، لأن الرقم تسعة يرمز عندهم إلى كمال العقل الإنساني حين يتصل بالجوهر الإلهي عبر الفن والمعرفة.

في **الديانات الكبرى**، تكرّر حضور الرقم تسعة كعلامة على الاكتمال الروحي.

في **المسيحية**، هناك تسع مراتب للملائكة، كل مرتبة تمثل قرباً خاصاً من العرش الإلهي : **السيرافيم، الكاروبيم، العروش، السيادات، القوات، السلطات،**

الرؤساء، رؤساء الملائكة، والملائكة العاديون. كما أن يسوع المسيح نطق تسع كلمات على الصليب قبل موته، وهو ما جعل الرقم تسعة رمزاً للألم المخلص وللتمام الإلهي قبل القيامة.

أما في **الإسلام**، فنجد الرقم تسعة حاضراً في مواضع عديدة رمزية وعرفانية. فقد ورد في الحديث عن (تسع آيات بيّنات) أُرسل بها موسى إلى فرعون، وهي تمثل تسع تجليات للقوة الإلهية في مواجهة الطغيان. وهناك أيضًا التسع والتسعون اسماً لله، وهي ثلاثة مضروبة في ثلاثة مضروبة في أحد عشر، كأنّما الاسم الأعظم الإلهي يتفرع من روح التسعة، الرقم الذي يقيس التمام دون تجاوز، الوحدة دون النقص.

وفي **التصوف الإسلامي**، كان الحلاج وابن عربي يرون في العدد تسعة رمزًا للرجوع إلى الأصل، لأنه آخر عدد قبل العشرة التي تمثل الدائرة الكاملة، أي أن التسعة هي الخطوة الأخيرة نحو الفناء في الواحد. فهي تمثل **مرحلة اكتمال التجربة الإنسانية قبل الذوبان في الحقيقة المطلقة**.

في **الهندوسية والبوذية**، التسعة هو رقم **الكرمة المكتملة**. هناك تسع تجسدات **للإله فيشنو** على الأرض، كل واحدة تمثل طوراً من أطوار الوعي الإلهي الذي ينزل إلى المادة. أما البوذيون، فيعتقدون

أن هناك تسعة طرق نحو **النيرفانا**، وكل طريق منها يمثل مستوى من الوعي المتحرر من الرغبة. الرقم تسعة هو عدد الوصول إلى التحرر التام، لذلك يرمز عندهم إلى اليقظة الكبرى التي تتجاوز الموت.

في الفلسفة، كان الرقم تسعة موضوع تأمل عميق لدى فيثاغورس وأتباعه الذين رأوا في الأعداد جوهر الوجود. قال فيثاغورس إن (**العدد تسعة هو البحر الذي تذوب فيه جميع الأعداد**) ، لأنه يعود دائمًا إلى ذاته مهما ضُرب. فلو ضربت **9** في أي عدد، ثم جمعت أرقام الناتج، ستعود دائماً إلى **9** ..

وهذا الخضوع للعودة إلى الذات جعل الفيثاغوريين يرون فيه رمزاً للخلود، وللروح التي لا تفنى بل تعود إلى أصلها بعد كل دورة من التكوين.

و في الفكر الفلسفي الحديث، استخدم الرقم تسعة رمزاً للدوائر الداخلية للنفس. رأى كارل يونغ، مثلاً، أن الرقم تسعة هو **صورة للأنا وقد اقتربت من ذاتها العليا**، لأنه آخر المراحل قبل اكتمال الوعي. وفي الأساطير، كانت هناك **تسعة عوالم في شجرة يغدراسيل عند الإسكندنافيين القدماء** ، تمثل مستويات الوجود من الجحيم حتى السماء العليا. كأن الرقم تسعة هو السلم الكامل للكينونة.

أما في الفن، فحضور الرقم تسعة متكرر في بنيته الداخلية:

فالألوان الأساسية الثلاثة تتداخل لتكوّن تسع درجات أساسية من المزج البصري. والموسيقى، بسباعيتها، تكتمل بإضافة نغمتين لتصل إلى التوافق الكامل. لذلك

ليس صدفة أن تكون السيمفونية التاسعة لبيتهوفن هي ذروة الإبداع الموسيقي في التاريخ ، فيها صعد الإنسان إلى أقصى درجات النشوة الفنية، حيث تتحول الأصوات إلى صلاة كونية.

كل هذه التجليات جعلت من الرقم تسعة رمزًا عابرًا للزمن والثقافات. إنه رقم لا يكتفي بالعدد، بل يتعداه إلى المعنى. حين تقول تسعة ، فأنت تستدعي كمالاً غير مكتمل، ونهاية تمهد لبداية أخرى. في هذا المعنى، يصبح الرقم تسعة رمزًا فلسفيًا للزمن نفسه : **كل دورة من الوجود تصل إلى ذروتها عند التسعة، ثم تعود إلى الصفر لتبدأ من جديد.**

لهذا، نجد في الشعر والفن المعاصرين حضور التسعة كرمز للولادة الجديدة ، تسعة أشهر يحمل فيها الجسد

حياة أخرى، تسعة نبضات كونية في كل دورة للخلق، تسعة هواتف نجمية يستقبلها الوعي حين ينفتح على الأبد.

إن سحر الرقم تسعة ليس في خصائصه الحسابية فقط، بل في نغمة الخلود التي يحملها. كأنه الرقم الذي يهمس بأن كل ما ينتهي يبدأ من جديد، وأن الوجود دائرة لا تعرف الفناء، بل تعرف فقط التحول.

من هنا، يبدو أن الرقم تسعة كان دائمًا المرآة التي رأى فيها الإنسان نفسه ككائن لا يكتمل إلا بالعودة إلى أصله، إلى النور الذي خرج منه أول مرة. إنه رقم النهاية والبداية، الموت والبعث، الإنسان والكون في لحظة توازن مطلق.

و حين تطوّر الفكر الإنساني في القرن العشرين نحو دراسة النفس والوعي، لم يغب سحر الرقم **9** عن الحقول الحديثة. بل عاد من جديد في أكثر صوره عمقًا، من خلال ما يُعرف بـنظرية الأنماط التساعية للشخصية – **إينيا غرام** ، وهي خريطة رمزية دقيقة للنفس الإنسانية، تمزج بين الفلسفة القديمة وعلم النفس الحديث، وتكشف كيف يسكن الرقم تسعة في أعماق الذات لا كعدد، بل كـهيكل روحي للوعي البشري.

يصف علماء النفس الذين تبنّوا هذه النظرية أن النفس

الإنسانية تتوزع على تسعة أنماط جوهرية، تمثل تسعة وجوه مختلفة للحقيقة الواحدة. كل وجه منها يعبر عن طريقة معينة لفهم الذات والعالم، وعن جرح قديم يسكن الروح منذ الطفولة، كما يعبر في الوقت نفسه عن طريق للخلاص والنضج.

وهكذا يتحول الرقم تسعة إلى دائرة مكتملة، كل نقطة فيها تمثل بُعداً من أبعاد الإنسان، وكل نمط هو باب نحو الكمال، لكن لا أحد منها يكتمل إلا بالآخرين. إنها فلسفة رقمية تشبه قول ابن عربي :

(**الحق واحد والطرق إليه بعدد أنفاس الخلائق**)

في هذه الدائرة التساعية، نكتشف أن كل شخصية تدور حول مركزٍ مفقود، تبحث عنه طوال حياتها، حتى تدرك أن الكمال لا يوجد خارجها بل في داخلها.

فالنوع الأول يسعى إلى **الكمال**، والثاني إلى **الحب**، والثالث إلى **التقدير**، والرابع إلى **التفرّد**، والخامس إلى **المعرفة**، والسادس إلى **الأمان**، والسابع إلى **الحرية**، والثامن إلى **القوة**، والتاسع إلى **السلام الداخلي**.

لكن الغريب أن الرقم تسعة – في مركز هذه المنظومة – هو رمز الوسيط ، المنسجم ، الواحد مع الكل ، أي الشخص الذي يسعى لبلوغ حالة توازن كاملة بين كل الاتجاهات، كما لو كان يمثل النقطة الختامية في

رحلة الوعي الإنساني.

يرى بعض الباحثين أن النظام التساعي ليس اختراعاً معاصراً، بل جذوره ضاربة في الحكمة الصوفية القديمة. فقد وجدت رموز مشابهة له في مدارس التصوف الإسلامي وفي الفلسفة الباطنية المسيحية واليونانية، بل وحتى في التعاليم البوذية التي تحدثت عن تسع مراحل من التنوير. وهذا يعني أن الرقم تسعة ظلّ رمزًا لخريطة العودة إلى الذات منذ آلاف السنين، تتوارثه الثقافات وتعيد صياغته بلغات مختلفة، لكنه يحتفظ دائمًا بنفس الهيكل الدائري الذي يبدأ من الانقسام وينتهي بالوحدة.

وإذا تأملنا بنية هذا النظام، نجد أن الرقم تسعة فيه يمثل المركز والمحيط معًا : **إنه الرقم الذي يحتوي الجميع دون أن يلغي أحداً**، كما يحتوي البحر كل الأنهار التي تصب فيه. ومن هذا المنظور، يمكن اعتبار الرقم تسعة رمزًا للنضج النفسي الأعلى، حيث تتجاوز النفس ازدواجياتها وتعود إلى السلام مع ذاتها.

هنا يصبح الرقم تسعة ليس مجرد عدد يصف ترتيباً، بل حالة من الوعي، حالة تتجاوز الخوف والرغبة، وتلمس الكمال في القبول، كما لو أن الإنسان يصبح دائرة متوازنة، لا بداية لها ولا نهاية.

أما من منظور الطاقة والروح، فيرى بعض الفلاسفة المعاصرين أن الرقم تسعة هو تردد الاهتزاز الأعلى في السلم الوجودي. فالطيف الطاقي للكون يبدأ من الترددات المنخفضة التي تمثل المادة، ويتصاعد حتى يبلغ التسعة، حيث تتحرر الطاقة من الكثافة وتصبح وعياً صافياً. ولهذا، يرتبط الرقم تسعة في كثير من تقاليد التأمل واليوغا بمراكز الوعي العليا، وباللون البنفسجي الذي يرمز إلى التنوّر.

في الفنون أيضاً، استُلهمت نظرية التساعية في بناء الشخصيات والأعمال الفنية المعقدة. فالروائيون والمخرجون يستخدمون هذه الأنماط التسعة لتشكيل مصفوفة إنسانية كاملة، تتيح فهم التفاعلات النفسية بدقة مذهلة.

وبهذا المعنى، يمكن القول إن الرقم تسعة ليس مجرد فكرة رمزية قديمة، بل لغة خفية للوعي الحديث. إنه الرقم الذي يعيد توحيد العلوم بالروح، والعقل بالشعور، والفرد بالمطلق. فهو يجمع ما فرّقته التجارب الإنسانية

في نسق واحد منسجم، يدور كما تدور الكواكب الثمانية حول شمسها ليكتمل العدد **9**، وكما يدور الإنسان حول جوهره في رحلة لا تنتهي .. ليتشكل الغضب الإلهي اللهاب **18** و يطرد خارج رحمته كل خائن وضيع يسقط صورته و ابنه على الله و يتكبر بمراوغة منافقة عن إسقاط زوجته و ابنته على شجرة السماء بنرجسية و كذب و تزوير تفوق الوصف ..

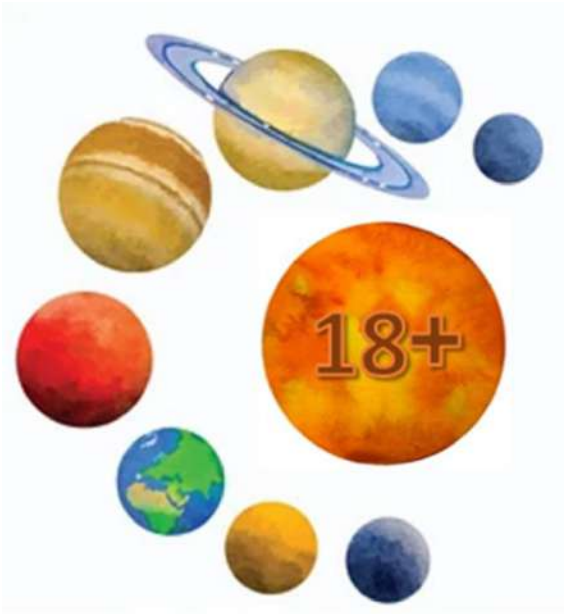

في نهاية هذه الرحلة عبر الحضارات والديانات والفلسفات والفنون وعلم النفس، يبدو الرقم تسعة وكأنه النبض الأخير قبل الصمت، والبوابة الأخيرة قبل النور.

هو الرقم الذي يكرّر على أسماعنا سرّ الخلق : **أن كل نهاية ليست موتاً، بل اكتمالاً يسبق الولادة من جديد.**

إنه المرآة التي يرى فيها الإنسان صورته الكاملة، بعد أن يجتاز مراحل التشتت ويصل إلى التوحّد.

ولهذا، فإن سحر الرقم **9** ليس وهماً رقمياً يا صديقي، بل أثر من آثار الوعي الكوني في حساباته العميقة. كل ما في الكون يدور في دوائر من تسعات : ثمانية كواكب مع شمس، تسعة أشهر للخلق البشري، تسعة مستويات للسماء في الأساطير، وتسعة دروب نحو النور في النفس.

كلها تقول الشيء نفسه : أن التسعة هي الاكتمال الذي لا يتوقف عند ذاته، بل ينفجر ليخلق دورة جديدة، حياة أخرى، وعالماً آخر.

ثانياً ، **رقم 9 في عيون السماء** :

سبق لنا و أن شرحنا منذ **16** عاماً تفسير الآية القرآنية الكريمة :

(و لقد جعلنا في السماء بروجًا و زيناها للناظرين)

و بينا أن **الله** هو رقم **9** في مركز هذا البرج مع أسمائه الحسنى **99** و أنه يجمع في جوهره القمر (هلال و بدر) أو رمضان من جهة ، و أيلول أو الشمس أو النجم الذي يدور في فلكه ثمانية كواكب .. و كل الأضداد المعروفة (الأول و الآخر .. الظاهر و الباطن و غيرها ... عدا **الحيّ** فالله لن يكون **ميتاً** بأي شكل من الأشكال و تحت أي ظرف من الظروف) ..

و في الحقيقة الزيتونة (شجرة السماء المقدسة) تشكلت في رحم الكون الأكبر (الأب و الأم) عبر **9** مراحل تطورية كما لخصتها بإيجاز أسطورة حي بن يقظان ..

فأسرار رقم **9** في السماء تفوق في أهميتها و خطورتها أسراره على الأرض !!

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**9 تسعة**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= رقم تسعة هو مجرد رقم كغيره ..

بل أن نقول :

= رقم تسعة هو الرمز المقدس للإله إذ يجسد في جوهره أسرار الأرض و السماء جميعها و لدينا محيط من الأدلة التي تثبت هذا الافتراض ..

أسماء الله الحسنى هي **99** و لكن يطيب لي أن أضيف إليها الاسم المئة غير المذكور وهو (**النبيل**) ، لأن الله على خلاف البشر لا يحتكر المجد لنفسه بغرور لا شبيه له و يهين كرامة غيره بدناءة لم يشهدها التاريخ ، بل يشمل بعطفه الجميع – حتى من يحاول قرصنته و سرقته - تحت خيمة أسمائه الحسنى حيث يسود الاعتدال و التوازن و فقط ، لا الظلم و الإجحاف لأن الله عادل في جوهره ..

الأخوّة

(ما بين يسوع و ست)

في قلب الجبال المظلمة، وفي دهاليز العقول التي استهلكها الحنين والانكسار، نشأت أخوية النور المكسور ليس بوصفها طائفة، بل كأداة كونية موجهة وفق تصورها هي، ولدت من رحم السقوط الجماعي للبشر في فخاخ مشاعرهم ، لم تكن غايتها خلاصًا، بل تفكيكًا جذريًا للإنسان كما نعرفه، وإعادة تشكيله على هيئة لا تجرّه عاطفة ولا تسقطه لحظة ضعف.

هندسة الندم لم تكن اختراعًا تقنيًا وحسب، بل كانت مشروعًا وجوديًا صممته الأخوية كما يصمم الجراح مشرطه ، لا ليجرح، بل ليكشف الداخل مهما كان مشوهًا .. أرادت الأخوية خلق أداة لا تكتفي بفضح الخوف، بل تجرده من قدسيته .. أداة قادرة على سحب أعمق طبقات الندم إلى السطح، لا لتداويها، بل لتعيد برمجتها على نحو يحوّل الألم إلى طاقة طيّعة، لا ذاكرة دامية.

الماضي بنظرهم عبء ثقيل يمكن محوه ، لذلك تؤمن

الأخوية أن أكبر خطايا الإنسان ليست أفعاله، بل شعوره بالألم حيالها .. فالندم، في نظرهم، ليس نبلًا، بل سلسلة ثقيلة تشلّ الحاضر وتسمّم المستقبل .. ولذا، سعت إلى فصم العلاقة بين الفعل وإحساس الذنب، عبر خلق بيئة تجريبية حسيّة ـ غرفة هندسة الندم ـ حيث يعاد توجيه الشعور وتفكيك رموزه.

في داخل الغرفة، لا قيمة للزمن ، الماضي والحاضر يندمجان ، ويُعاد سرد الوقائع بطريقة تنزع عنها كل معنى أخلاقي .. لا يوجد " **خطأ** " في نظر العقل المهيمن الذي يتزعمهم ، بل فقط انحراف في التفاعل العصبي يمكن تصحيحه.

أما غاية الأخوية الجوهرية فهي كسر إرادة القلب منشأ المشاعر كلها .. فإذا كانت السلطة التقليدية تسعى للسيطرة على الجسد أو الفكر، فإن أخوية النور المكسور أرادت شيئًا أعمق : السيطرة على القلب .. ذلك الحيّز الفوضوي، الذي لا يخضع للمنطق، ولا ينصاع للقوانين، ولا يعترف بالمقايضة.

الأخوية بدأت العمل على مشروع هندسة الندم منذ نصف قرن ، استقطبت كفاءات علمية إلى صفوفها لتحقيق هدفها (مهندسون ، أطباء ، تكنولوجيون ...) على التوازي مع ذلك و على خلفية استشارات نفسية كثيرة قررت تأهيل شخص معين منذ طفولته ليكون

القربان المثالي لاختبار مشروعها لأول مرة كحدث فاصل في التاريخ البشري ..

*****

قبيل بدء الجلسة، احتشد الجميع في القاعة الدائرية تحت الأرض .. كانت القبة مبنيّة من حجر بازلتي بلون الأبنوس، تتدلّى من أعلاها سلسلة حديدية تحمل شمعة حمراء واحدة، لا تهتزّ رغم الهواء المتحرك بحرية في الأجواء مع أنفاس الموجودين.

أمام كل عضو من الأخوية، إناء حجري صغير مملوء بسائل فيروزي يعكس الضوء كمرآة .. غمس كل منهم

إصبعه، ورسم دائرة معكوسة على جبهته، يتبعها ترميز شبيه بالنصل في مركزها .. ثم رتّلوا بصوت خفيض :

In obscuro veritas… per florem fractum lucem flectimus… temporis sinus aperitur ....

(في الظلمة تكمن الحقيقة… عبر الوردة المكسورة نلوّن النور … و جيب الزمن يُفتح)

جلسوا حول الطاولة الكهرمانية ، الدائرية، المحفور في منتصفها وردة بثلاث طبقات داخل مثلث ودائرة غير مكتملة ، كانوا يرتدون عباءات مصنوعة من قماش رمادي كثيف محشو بألياف رماد الحروق الطقسية .. الأقنعة المعدنيّة خالية من الفم، ذات شقين للعينين فقط، والرمز الوحيد المنقوش على كل قناع هو العلامة الثلاثية للأخوية.

العقل المهيمن، ذو القناع الأسود الكامل، بدأ الحديث :

= رافنر لمس اللوح .. هو الآن متصل بالجناح الوردي .. لم يعد يملك أي ذرة من إرادته بذلك ..

همست آنيا غروسنر ، المرأة الوحيدة بينهم، بنبرة تنزف اعتراضاً :

=أرى أن التوقيت غير مناسب .. لقد قابلته بنفسي في

أنجيه و وجدته غير مستعد .. يجب أن تؤجل التجربة حتى ينضج الندم في أعماقه جيداً ..

رد عليها آخر :

= كل قرار يبنى عليه خطر أكبر.. الضوء بدأ يتحرّك .. تفريغ الندم ليس حالة نظرية، بل قنبلة إذا لم نفجرها بأنفسنا ستنفجر من تلقاء نفسها في الوقت المحدد لها و سيصبح الياس خنجراً في خاصرتنا .. إما الآن أو نقتل الياس ..

أومأ العقل المهيمن رأسه بالموافقة ..

= محق .. الياس إن لم يخضع للتجربة النهائية سيصبح أكبر سلاح في وجهنا .. لقد بات يعرف أكثر مما ينبغي بعد أن تجاوز العتبة ، و لم يعد هنالك مجال للمناورة أو الرجوع ..

عندما وصل الحديث إلى هذه الحافة الحرجة نهض **ميكاييل كاسيان** ، بهدوء .. خلع قناعه .. ليظهر بين الضباب رجل أكثر غموضاً من القناع ذاته ، رجل خاض معارك داخلية أكثر مما عاشها في العالم الخارجي .. وجهه طويل قليلًا، تكسوه التجاعيد عند زاويتي العينين وفي الجبهة، وكأن كل خط فيه يروي قصة تردد أو قرار متأخر.. عيناه بلون رمادٍ بارد، لا تُظهران ما يشعر به تمامًا، بل تلمحان إلى صمت طويل

يسكنه .. شعره الكثيف قليلًا عند الأطراف يتخلله الشيب، لكنه لا يكترث لإخفائه، كأنما يعلن قبوله بالزمن.

كاسيان هو أحدث عضو في الأخوية ، انضم إليها قبل عام فقط، بعد أن استدرجته أطروحاتها عن تجاوز الألم الإنساني وتطويعه و كأنه وجد فيها فرصة نجاة له قبل أي شخص آخر بعد أن خسر زوجته في حادث مأساوي ملتبس حمل نفسه مسؤوليته فنهشه الندم حياً .. لم يكن يومًا تابعًا، بل رجل فكر وتجريب، باحث عن إجابة لسؤال لم يُطرح بعد ..

ورغم ذكائه الحاد، إلا أنه ظل على هامش الدائرة الحقيقية للأخوية، لا يعرف عن أسرارها العميقة سوى القشور.. شيئًا فشيئًا، بدأ يدرك أن ما وُعد به لا يشبه ما يُنفّذ على الأرض.

في بداية انضمامه، كُلّف بمتابعة مشروع خاص بدا له وقتها مبهمًا، إلى أن اكتشف لاحقًا أنه ساهم - عن غير قصد - في برمجة إلياس وتكييفه ليكون مادة خام لهندسة الندم .. ومنذ تلك اللحظة، تغيّر كل شيء فقد تشكل ندم اكبر كمضغة في روحه..

و الندم عند كاسيان ليس صخبًا ولا دموعًا، بل حضور دائم في صمته .. يعاقب نفسه بالصمت، بالانسحاب،

وبالمراقبة من بعيد .. يشعر أنه ساهم في جريمة لم يدرك حقيقتها إلا متأخرًا، وأنه بات مسؤولًا عن إنقاذ من ساعد في تقييده.

كتب في مفكرته :

كنت أظن أنني أبحث عن حرية للإنسان، فصنعت قيدًا جديدًا لروحه

أصبح وجوده في الأخوية مزيجًا من التمويه والمقاومة. يجهل الكثير من أسرارها، لكنه بدأ يدرك ما يكفي ليشعر بالخطر، ويشعر أن عليه حماية إلياس، ليس فقط من المنظمة... بل من كل ما زرعوه في داخله.

نظر كاسيان إلى الجميع بنظرات ملتهبة و قال بنبرة حادة تكاد تبتر الفولاذ :

= أحذركم .. أنتم تتصرفون ككهنة عميان في معبد

ملعون .. أنتم تراقبون و لا تبصرون ... أنتم تختبئون فحسب خلف رماد الطقوس، لقد فرغتم الأخوية من مضمونها ..

رفع العقل المهيمن نظره نحوه بهدوء و تهديد معاكس :

= تحذّرنا، يا كاسيان؟

= أحذّركم من أنفسكم .. إلياس ليس عدوًّا كي نقتله .. ما الذنب الذي ارتكبه يستحق هذه العاقبة ؟! هل نحن طائفة إجرامية أم كوة يمر منها النور إلى البشرية ..

صاح أحدهم :

= إن كاسيان يتمرد و يخالف الميثاق .. لو أنصتنا له ، سيفسد التوازن الذي حافظنا عليه منذ الألفية الأولى .. كلنا وافقنا على اتخاذ الياس كقربان من أجل البشرية و لا مجال للتراجع الآن ..

رد كاسيان بجرأة و حزم :

= التوازن ؟ أنتم تقصدون الجمود .. العالم يتغيّر، وأنتم تتمسّكون بظلّ لا جسد له .. الأخوية تنسلخ رويداً رويداً عن جوهرها الأساس الذي تشكلت عليه .. هندسة الندم سراب واهم لن يوصلنا إلى شيء .. إن طبقت ستفنى البشرية ..

ردت آنيا بصوت مفعم بالضغينة ..

= بل هي منجاة البشرية .. لا خلاص إلا بزوال الندم الذي ينهش الروح و يسبب اليأس و الفشل ، و الياس هو المنقذ لنا و للبشرية .. الحجر المركزي الذي يُسقط قوس العصور كي يعاد بناؤه على نحو أفضل و أكثر كمالاً ..

اقترب كاسيان من الطاولة و طرق عليها بقوة بيده العارية.

= في الحقيقة كل ما بدر منكم خلال العام المنصرم يوحي بأن لكم غايات خبيثة أبعد من هندسة الندم .. غايات تستعبد الإنسان بدلاً من أن تحرره ، بل أخشى ما هو أخبث من ذلك .. لذا فأنا أنسحب .. و لن أسمح لكم بإيذاء إلياس .. من يمدّ يده نحوه، سأعدّه عدواً لي ... ولما تبقّى من النور في هذه الأخوية ..

وقف الجميع .. مع توتر ملموس ساد في الغرفة .. أما العقل المهيمن لم يتحرك من كرسيه .. فقط قال بنبرة عميقة :

= حين تنشقّ الدائرة لا تعود كاملة .. ما تفعله ليس خروجًا، بل خيانة ، و كان ينبغي أن نتوقعها من عضو حديث العهد بيننا .. كانت آنيا محقة في تحذيري منك .. على كل حال أنت تعرف مصير الخائن، يا كاسيان ..

اقترب كاسيان أكثر، وضع قناعه على منتصف الطاولة.

= أنا لا أخون .. أنا أحاول إنقاذ ما نسيتم أنه الحقيقة .. بخروجي الآن **أكسر الضوء و أجعل الدائرة مفتوحة** ليخرج الندم منها .. أنا أفعل ما يمليه علي العقل لا الأهواء أيها العقل المهيمن كي لا أندم بشدة لاحقاً كما ستندمون جميعاً ..

قالت آنيا بصوت جليدي يجمّد النار :

= إذن، فلننتقل إلى **برتوكول التنين** سيادة العقل المهيمن ، فالمنشقون باتوا قريبين للغاية من الياس و إن أقنعوه بأفكارهم سيصبح بمثابة مسدس في صدغ الأخوية ..

علت أصوات الجميع بالموافقة ..

استغرق العقل المهيمن بالتفكير للحظات ثم اتخذ قراره الذي بدا أوضح من أن يحتاج للتفكير بعد انشقاق كاسيان ، نهض و أطفأ الشمعة الحمراء كطقس معروف يعلن دخول الأخوية في حيز التنفيذ الأخير أو ما يعرف ببروتوكول التنين عقب التمزق المفاجئ الذي طرأ عليها ..

انسحب كاسيان حانقاً وسط الظلام الدامس ... وبقي اسمه يتردّد في الصمت بين الموجودين كخائن للأخوية نبذ العهد و

ستنبذه الأخوية و تحاسبه ..

****

الأخوية ..

كلمة تثير في النفس مشاعر من الرهبة و الغموض و تحيط بها صورة ضبابية من الأسرار و الظلال .. عندما ينتمي مجموعة من الناس إلى منظمة سرية تتلاعب بالمجتمعات كما يتلاعب رجل الدمى بالخيوط ، و على غرار أخوية النور المكسور في مقدمة مغالطتنا ، يعتقد كثير من الناس أن الأخوية مقترنة دوماً بالظلام و الشر و ربما عبادة الشيطان .. و في الحقيقة هذه مغالطة شائعة لا أكثر ، فكثير من الأخويات عبر

التاريخ كانت شعلة من ضياء انتسب إليها خيرة العلماء و الأدباء و أصحاب الفكر ..

و سنحاول خلال الصفحات التالية أن نوضح هذا الكلام أكثر و بعمق بأن نتطرق إلى مفهوم الأخوية من زاويتين شيقتين :

① ما هي الأخوية ؟

② أشهر أخويات التاريخ ..

و بما أنك عزيزي القارئ عضو عميق في **أخوية تصويب المغالطات** ، انضم إلينا في هذه المغامرة المثيرة ..

أولاً ، ما هي الأخوية ؟

الأخوية ليست مجرّد تنظيمٍ سرّي أو نادٍ مغلق كما يتخيله الناس اليوم، بل هي فكرة ضاربة الجذور في تاريخ الإنسانية، وُلدت من حاجة الإنسان العميقة إلى الانتماء والمعنى والحماية. ففي العصور القديمة، حين كانت المجتمعات بدائية ومليئة بالمخاطر، كان الأفراد يجتمعون في دوائر مغلقة لحماية بعضهم، وتبادل المعرفة، وممارسة طقوس دينية أو روحية لا يفهمها العامة. من تلك البدايات نشأت فكرة (الأخوية) ، جماعة من الأفراد يوحّدهم هدف أو إيمان أو سرّ، تجمعهم رموز خاصة وعهود ملزمة، وتفصلهم عن بقية

العالم حدود غير مرئية من الطقوس والكتمان.

أولى الأخويات في التاريخ يمكن أن نلمح جذورها في **الطقوس الدينية السومرية والمصرية القديمة**، حيث وُجدت جماعات الكهنة الذين يحتفظون **بأسرار الآلهة والعلوم السماوية** لأنفسهم. هؤلاء الكهنة كانوا أوائل الأخويّين ، إذ كانوا يشكّلون طبقة مغلقة لا يدخلها إلا من أُعدّ إعداداً خاصاً، وكانوا يتناقلون المعارف سراً، كمعادلات الفلك، والتحنيط، وطقوس ما بعد الموت.

ومع تطور الحضارات، تحوّلت هذه التجمعات من **دينية** إلى **فكرية وعلمية و فلسفية** ؛ فظهرت مدارس الأسرار في **اليونان القديمة** مثل **أخوية فيثاغورس**، التي جمعت بين الفلسفة والرياضيات والميتافيزيقا، وفرضت على أعضائها الصمت والتأمل والالتزام الأخلاقي.

لكن الشكل الأكثر نضجاً لفكرة الأخوية ظهر في **العصور الوسطى الأوروبية** مع **نقابات البنّائين**، الذين كانوا يحتفظون بأسرار الهندسة وتقنيات البناء التي شيّدت الكاتدرائيات العظيمة. ومن رحم تلك النقابات وُلدت لاحقاً **الماسونية**، التي أعادت تعريف الأخوية باعتبارها مدرسة أخلاقية وفكرية تهدف إلى بناء الإنسان كما يُبنى المعبد، حجراً فوق حجر، بمعنى

رمزي وروحي.

لقد تأسست الأخويات في الأصل لعدة أسباب : **أولها** **الحماية** ، إذ كان العلم أو الفكر المختلف يُعد خطراً في عصور الاستبداد والجهل، فكانت السرّية ضرورة للبقاء. و **ثانيها** **التنقية** ، حيث سعت تلك الجماعات إلى تنقية الروح والفكر من شوائب الجهل، عبر طقوس رمزية توحي بأن الوصول إلى النور لا يتم إلا بالعبور عبر الظلام. و **ثالثها** **السلطة الروحية والمعرفية** ، إذ رأت نفسها حارسة للمعرفة العليا، أو الوسيط بين الإنسان والعالم الخفي.

وهكذا، لم تكن الأخويات في جوهرها مجرد مؤسسات، بل مرايا للبحث الإنساني عن المعنى، تحاول في صمت أن تربط الأرض بالسماء، والعقل بالروح، والإنسان بالمطلق. إنها صدى السؤال الأول الذي لم ينطفئ قط : **من نحن ؟ ولماذا نحن هنا ؟**

ثانياً ، أشهر أخويات التاريخ :

فيما يلي قائمة بأشهر الأخويات السرّية أو شبه السرّية في التاريخ، تلك التي كان لها تأثير كبير في السياسة والدين والعلم والثقافة، وارتبطت غالباً بالغموض والأساطير :

❁ أخوية البنّائين الأحرار (الماسونية) :

= الأصل : يُعتقد أنها نشأت في أوروبا في القرون الوسطى من قبل نقابات البنّائين.

= الرمز : الفرجار والمسطرة والعين التي ترى كل شيء.

= الفكرة : تقوم على الإخاء والعقلانية والبحث عن الحقيقة من خلال رموز هندسية وروحية.

= التأثير: لعبت دوراً كبيراً في فكر التنوير الأوروبي، وتأثر بها قادة سياسيون وفلاسفة مثل جورج واشنطن

وفولتير.

= السرّية : تتميز بطقوس رمزية معقدة ودرجات عضوية متسلسلة.

❁ أخوية فرسان الهيكل :

= التأسيس : عام **1119** م في القدس، لحماية الحجاج المسيحيين في طريقهم إلى الأراضي المقدسة.

= الرمز: الصليب الأحمر على الثوب الأبيض.

= النهاية الغامضة : تم حلّها بأمر من ملك فرنسا في القرن الرابع عشر، وأُعدم قادتها بتهم الهرطقة.

= الأسطورة : يُقال إنهم أخفوا كنوزاً ومعرفة سرّية عن

الكأس المقدسة والديانة القديمة.

❁ أخوية اليسوعيين :

= التأسيس: عام **1540** م على يد **إغناطيوس دي لويولا** كجماعة دينية كاثوليكية.

= الغاية : الدفاع عن الإيمان الكاثوليكي ونشر التعليم في العالم.

= التأثير: أسست جامعات ومدارس في كل القارات، ولعبت دوراً مؤثراً في السياسة والفكر.

= السمعة الغامضة : اتُّهمت أحياناً بالتغلغل في الحكومات والتأثير الخفي في القرارات البابوية.

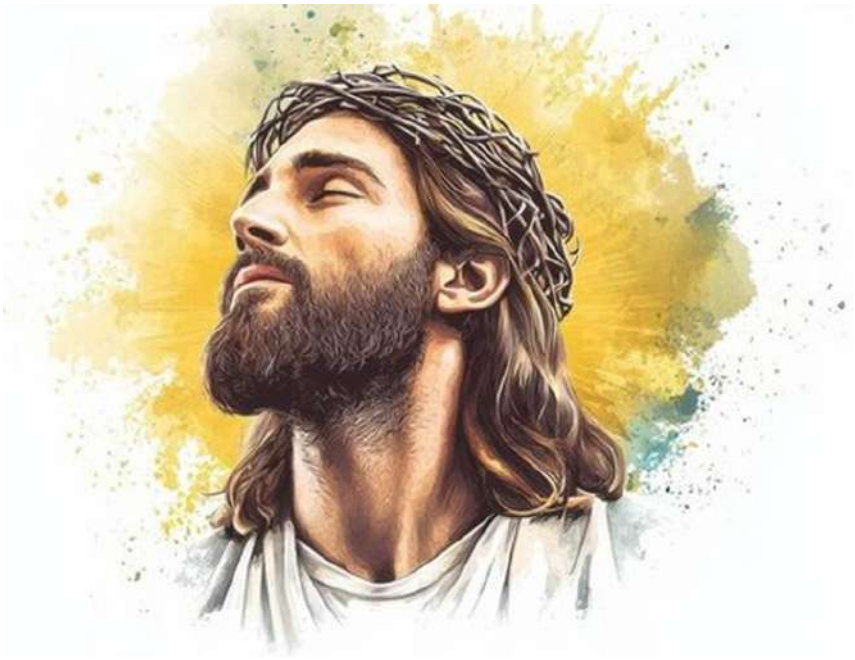

❁ أخوية المتنورين :

= التأسيس: عام **1776** م في **بافاريا** على يد **آدم**

وايسهاوبت.

= الهدف : نشر العقلانية، مقاومة سلطة الكنيسة والإقطاع، وتحقيق نور العقل ..

= الأسطورة : يُقال إنها لم تنتهِ قط، بل تطورت إلى شبكة عالمية تُدير الاقتصاد والإعلام والسياسة من وراء الستار.

= الرمز : العين داخل المثلث، والموجود على الدولار الأمريكي.

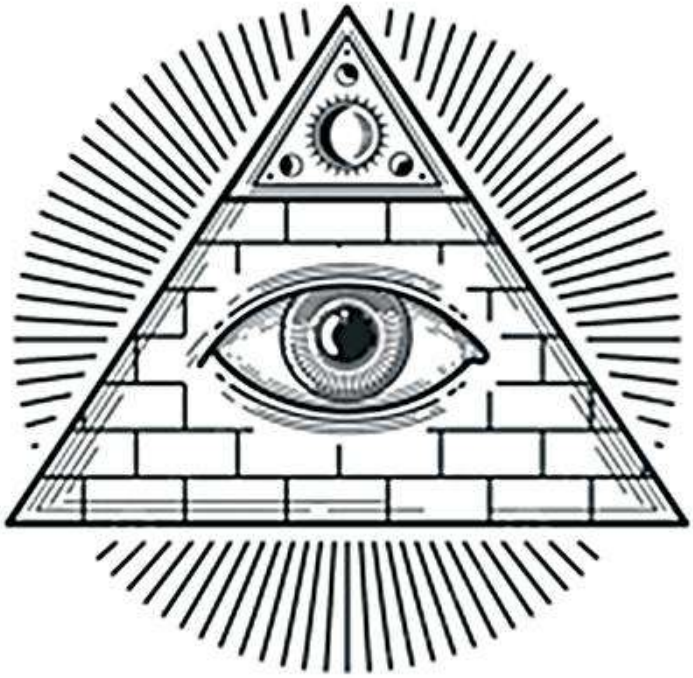

❁ أخوية الصليب الوردي :

= الظهور : القرن السابع عشر في أوروبا.

= الفكرة : مزيج من التصوف المسيحي، والكيمياء، والرمزية الهرمسية.

= الرمز : الصليب الوردي الذي يرمز لاتحاد الروح والمادة.

= التأثير: ألهمت مفكرين كثيرين في مجالات السحر والفلسفة والعلم و من أشهرهم اسحق نيوتن ، وتُعدّ من الجذور الفكرية للماسونية الحديثة.

❁ أخوية الجمجمة و العظام :

= المكان : جامعة ييل الأمريكية.

= الظهور: عام **1832** م .

= الرمز : جمجمة وعظمتان متقاطعتان.

= الشهرة : تضم نخبة من السياسيين الأمريكيين مثل جورج بوش الأب والابن وجون كيري.

= الطابع : طقوس غريبة وتقاليد سرّية، وتُتهم بالتأثير في السياسة الأمريكية من خلف الكواليس.

❁ أخوية سيون :

= الأسطورة : ظهرت في الوثائق الفرنسية في القرن العشرين، لكنها تُنسب إلى العصور الوسطى.

= الهدف المزعوم : حماية السلالة الداودية المنحدرة من المسيح ومريم المجدلية.

= الشهرة الأدبية : اكتسبت شهرتها من رواية شيفرة دافنشي لدان براون التي زعمت أن الشخص الذي يجلس إلى جوار يسوع في لوحة العشاء الأخير لدافنشي هي مريم المجدلية ..

= الجدل : يرى بعض المؤرخين أنها اختراع حديث،

بينما يعتقد آخرون أنها غطاء لأخويات أقدم.

❁ أخوية سيتيان :

= المؤسس : **مايكل أكينو** عام **1975** م بعد انشقاقه عن كنيسة الشيطان.

= الرمز : الإله المصري ست **6** إله الشرّ و الفوضى.

= الفكرة : لا تعبّد الشيطان بالمعنى التقليدي، بل ترى ست رمزاً للتحرر من السيطرة الدينية والاجتماعية والسير نحو الوعي الذاتي المطلق ، و تبيح للإنسان فعل ما يشتهي ..

= الطابع : فلسفي – باطني، يُعنى بتطوير الإله الداخلي في الإنسان.

❁ أخوية النور الداخلي :

= المؤسسة : **ديون فورتشن** عام **1924** في لندن.

= الفكرة : دمج علم النفس الحديث بالتعاليم الهرمسية والسحر الروحي، بغرض إيقاظ النفس العليا ..

= التأثير: ساهمت في إحياء الفكر الباطني في أوروبا، وتُعد من الجذور الفكرية للمدارس اللاحقة في حركات العصر الجديد ..

******

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الأخوية**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= الأخوية مصطلح مرادف للشرّ و الفوضى ..

بل أن نقول :

= الأخوية جماعة غامضة و سرية قد تحمل شعلة نور و قد تغرق في الظلام .. حاولت عبر مر العصور أن تحمي نفسها و أتباعها و تعاليمها من الأذى و التنكيل و التضييق ..

هنالك أخوية شهيرة أعتبرها شخصياً الأجمل و لم نرد على ذكرها في هذه المغالطة و هي (**أخوية اليقظانين**) التي جمعت خيرة العقول البشرية كالفيلسوف المسلم ابن رشد و الطبيب اليهودي موسى بن ميمون و غيرهم ، و عملت على نقل جزء من فلسفة الإغريق مغيّب عن العامة بشكل سري عبر العصور .. و نختم مغالطتنا هذه بشعارها العميق و الجميل :

(الأرانب لا تفرض القوانين على الأسد)

الكوكب المضجر

(ما خفي كان أعظم)

في صيف عام **1994**، شهدت إحدى المناطق النائية في **المكسيك**، وتحديدًا **قرية رانشو بالو** الصغيرة، سلسلة من الأحداث الغريبة التي لا تزال حاضرة في ذاكرة السكان حتى اليوم. كانت الأجواء صيفية دافئة، والليل يسدل ستاره على الحقول والجبال المحيطة، عندما بدأ السكان يسمعون أصواتًا غير مألوفة، تشبه همسات الرياح ولكنها أقوى وأشد انتظامًا، وكأن شيئًا ما يتحرك على مقربة من الأرض.

خوان مارتينيز، فلاح محلي في أواخر الثلاثينيات من عمره، كان أول من لاحظ أن هناك شيئًا غريبًا يحدث. حسب روايته، فقد شاهد أضواءً متقطعة تحوم فوق الحقول، وتصدر وهجًا غريبًا أزرق اللون، وكأنها لا تنتمي لعالمنا. لم يكن وحيدًا، فقد انضم إليه جاره **ميغيل غارسيا**، الذي لاحظ ظهور كائنات صغيرة، لا يتجاوز طول الواحدة منها مترًا واحدًا، ترتدي ألبسة معدنية عاكسة للضوء.

حسب شهادات السكان، توقفت الكائنات فجأة أمام مجموعة من الفلاحين، وبدأت تتحرك بطريقة منظمة وكأنها تراقبهم عن قرب. لم يُسجل أي صوت يصدر منها، لكن بعض الحاضرين أكدوا أنهم شعروا بنقل الأفكار مباشرة إلى عقولهم ، وهو ما وصفه البعض بأنه تواصل ذهني غير مألوف.

الأحداث الغريبة لم تتوقف عند هذا الحد. في صباح اليوم التالي، اكتشف الفلاحون آثارًا غريبة على الأرض، دائرية الشكل ومتعرجة، مع علامات حرق طفيفة على النباتات المحيطة. بالإضافة إلى ذلك، لاحظ بعضهم أضرارًا صغيرة في معداتهم الزراعية، وكأن شيئًا معدنيًا ثقيلًا مرّ بسرعة عبر المكان.

تدخلت وسائل الإعلام المحلية لتوثيق الحادثة، حيث أجرى الصحفي **كارلوس ميندوزا** مقابلات مع عدد من الشهود، مؤكدًا أن قصتهم كانت متطابقة تقريبًا، رغم اختلاف تفاصيل المشهد بين شخص وآخر. بدأ العلماء والمحققون المحليون بتحليل الأرض، لكنهم لم يجدوا أي تفسير منطقي، ولم تظهر أي آثار لمركبة مألوفة أو تكنولوجيا بشرية.

أثارت حادثة رانشو بالو جدلاً واسعًا في المكسيك والعالم، وأصبحت من بين أبرز حوادث ظهور الكائنات الفضائية في التسعينيات. أدرجت في سجلات منظمة **UFO Research Mexico**، التي وصفتها بأنها حالة اختطاف جماعي غامض لم يُسجل له سابقًا في المنطقة ..

رغم مرور السنوات، بقيت الحادثة لغزًا حيًا، وأصبحت موضوع نقاش مستمر بين علماء الظواهر الغامضة والهواة على حد سواء. بالنسبة للسكان المحليين، فهي ذكرى مشحونة بالرهبة والإثارة، تذكرهم دائمًا بأن هناك ما هو أبعد من عالمهم اليومي، وأن الكون قد يحمل أكثر مما يمكن للبشر استيعابه.

****

لا أشك للحظة أن القصة السابقة أثارت حماسك و فضولك عزيزي القارئ بسبب غرابتها و خطورتها ، بعد أن اعتدت على الأخبار اليومية المعتادة حول العالم .. زلزال هنا ، حرب هناك ، وباء آخر ، اتفقايات دولية جديدة بشكل معاد و متكرر يثير الضجر بلا ريب .. و إن بلغت الإثارة ذروتها سمعت أن أنثى باندا أنجبت توأم لطيف في إحدى حدائق الحيوان ، حتى تشكل عند الناس قناعة حقيقية بأن كوكب الأرض كوكب ممل يدور في حلقة مفرغة من الأحداث المتشابهة ، فلا الطبيعة تتغير ، و لا الأحداث تتجدد ، نفس الجوهر بأسماء مختلفة و مناطق مغايرة و أشخاص جدد .. فهل هذه القناعة منطقية و مبررة ؟

من سوء الحظ و حسنه في آن ، أن هذه القناعة الشمولية واحدة من أكبر المغالطات المنتشرة على كوكب الأرض .. فكوكبنا في الواقع مرتع لإثارة حقيقية منتشرة في أصقاعه ، لكن و كما هو حال الأحجار الكريمة ، نادرة للغاية بين عدد هائل من الحصى ، كذلك الأماكن أو الأحداث أو الظواهر أو الاكتشافات الغامضة و المثيرة موزعة بشكل اقل على بلدان العالم ، ليبحث عنها و يجدها كل عاشق للإثارة و الغموض ، تماماً **كحادثة رانشو بالو** السابقة التي يكتنفها الغموض و الخطورة ، و مهمتي في هذه المغالطة عزيزي القارئ أن اثبت لك أن كوكب الأرض

أكثر حماساً مما تعتقد بأن أجمع لك كوكبة من أكثر الأمور غموضاً و إثارة عليه فأضعها بين يدك بمنتهى السهولة لتتعرف عليها و تستمتع بها .

فهيا بنا في هذه المغامرة الشيقة ..

أولاً ، اكتشافات مثيرة :

❁ قضبان الحجر - تركيا :

في سهول تركيا، تنتصب تماثيل صخرية على شكل قضبان كأن الأرض تنفست سرها الغامض إلى العلن، تقف كرموز قديمة لا يفهمها العقل.

كل مخروط يبدو وكأنه رسالة من حضارة ضائعة، محفورة بدقة تخالف المنطق الحديث.

الأثر يبعث شعورًا بالعظمة والغموض، وكأن الزمن توقف عند هذه النقاط.

حتى اليوم، لا يعرف أحد الهدف من هذه القضبان، فتظل الأرض تحتفظ بسرها في صمت.

۞ المدرجات الحجرية - البرازيل :

في قلب الغابات البرازيلية، ترتفع مبانٍ حجرية ضخمة غير مأهولة، كأنها مدن منسية على حافة الزمن.

المدرجات والممرات الحجرية تشير إلى تصميم دقيق ومعرفة بالهندسة المعمارية القديمة.

الغموض يكمن في أن منشئوها مجهولون، ولا توجد سجلات تفسر وجودها أو سبب بنائها.

۞ الحجر الغامض - تركيا :

في قلب أنقاض **حاتوسا** القديمة في تركيا، يقف حجر أخضر غامض، صلب ولامع، كأنه احتفظ بسحر

الحضارة الحثية عبر آلاف السنين.

يعتقد بعض الباحثين أنه كان قاعدة لتمثال أو مذبحًا طقسيًا، لكن الغرض الحقيقي منه لا يزال مجهولًا، تاركًا العلماء في حيرة.

وزنه الضخم وشكله المكعب يجعلان منه رمزًا للقوة والغموض، وكأن الزمن توقف عنده ليحرس أسرار المعبد.

يضيف إليه السكان المحليون هالة من الأسطورة، معتقدين أنه يحقق الأماني لمن يلمسه، فصار جسرًا بين التاريخ والسحر.

❁ المرايا الصغيرة الذهبية - البيرو :

في جبال بيرو القديمة، وُجدت قطع ذهبية صغيرة مصقولة تعكس الضوء بطريقة مذهلة، كأنها تحمل

شموساً مصغرة بين يديها.

سطحها المرهف ودقتها الفائقة تجعلها أداة غير عادية بالنسبة لتقنيات ذلك العصر، وكأنها صنعت لتأسر العيون والخيال معًا.. الغرض منها يظل مجهولًا، ربما طقسي، علمي، أو رمزي، ولكنها تلمع بالغموض في كل مرة تعكس الضوء .. كل مرايا صغيرة هي نافذة إلى حضارة منسية، تهمس بالأسرار وتدعو العقل لاستكشاف ما وراء الزمن.

ثانياً ، ظواهر غامضة :

❁ الكرات البرقية :

ظاهرة غريبة لوحظت عبر القرون، وهي ظهور كرات مضيئة من البرق تطفو في الهواء وتتحرك ببطء داخل الغرف أو في السماء أثناء العواصف الرعدية.

تتراوح ألوانها بين الأصفر والأزرق و الوردي، وقد تنفجر فجأة مسببة صوتًا مرتفعًا ورائحة كبريتية.

رغم مئات الشهادات والروايات، لم يستطع العلم حتى الآن إعادة إنتاجها في المختبر بشكل مستقر أو تفسير طبيعتها بدقة؛ هل هي ظاهرة كهربائية؟ بلازما؟ أو خداع بصري ؟

❁ الجيش المفقود لقمبيز الثاني :

يروي المؤرخ هيرودوت أن الملك الفارسي قمبيز الثاني أرسل في القرن السادس قبل الميلاد جيشًا قوامه خمسون ألف جندي لعبور صحراء ليبيا لغزو معبد آمون في واحة سيوة بمصر.

لكن الجيش اختفى بالكامل في الرمال، ولم يُعثر على أي أثر له ، لا أسلحة، ولا هياكل عظمية، ولا دروع.

على مدى آلاف السنين حاول الرحالة والمستكشفون العثور على دليل، لكن حتى اليوم لم يتم التأكد مما إذا ابتلعته عاصفة رملية هائلة أم كانت هناك خيانة أو

أسطورة سياسية.

❁ الخرطوشة الغامضة في معبد أبيدوس :

في معبد أبيدوس الفرعوني، تظهر نقوش على جدارٍ حجري يُعرف باسم لوحة سِتِي الأول ، تضم أشكالاً تشبه طائرة هليكوبتر وغواصة وطائرة نفاثة !

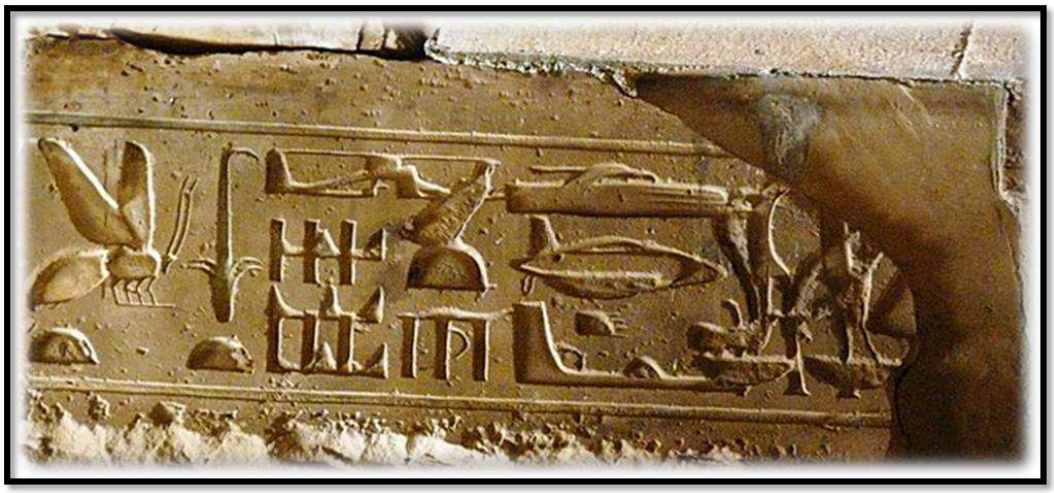

الصور واضحة جدًا بحيث يصعب اعتبارها مصادفة.

رغم أن بعض الباحثين يقولون إنها مجرد نقوش

متداخلة نتيجة إعادة نحتٍ لاحق، فإن آخرين يرون فيها دليلاً على معرفة أو رمزية متقدمة فقدت معناها عبر الزمن.

❁ نار المسيح المقدسة :

منذ أكثر من ألف عام، وفي كل عام خلال سبت النور، يشهد كنيسة القيامة في القدس حدثًا مذهلًا: ظهور لهب أزرق يشتعل ذاتيًا داخل القبر المقدس دون أي مصدر ظاهر للنار ، إنه نور يسوع المسيح اللهّاب ..

يؤكد الشهود أنه لا يحرق في الدقائق الأولى، ويُوزَّع على المؤمنين الذين يشعلون به شموعهم.

العلماء لم يتمكنوا من تفسير الحدث بدقة : هل هو ظاهرة فيزيائية نادرة، أم معجزة دينية، أم طقس طاقي غامض ؟

الجدل لا يزال قائمًا حتى اليوم.

ثالثاً ، أماكن غريبة :

❁ كهف فونغ نها – فيتنام :

واحد من أضخم الكهوف في العالم، لكنه يحتوي داخله على نظام من الغيوم والمطر الصغير بسبب فارق درجات الحرارة بين الداخل والخارج.

يبدو وكأنه عالم تحت الأرض بمناخ خاص به : أنهار، غابات صغيرة، وأعمدة ضخمة من الحجر تشبه القصور.

❁ وادي جيوزايغو – الصين :

منطقة نائية في مقاطعة سيتشوان، فيها بحيرات متعددة الألوان، تتدرج من الأزرق إلى الأخضر فالذهبي.

سرّها أن المعادن الذائبة والطحالب النادرة تكسر

الضوء بشكل يجعل المياه تتغير ألوانها كل ساعة تقريبًا.

الأسطورة المحلية تقول إن البحيرات مرايا للآلهة القديمة.

❁ كهف الموجة الزجاجية – أيسلندا :

يقع تحت نهر جليدي، وتكوينه يجعل جدرانه شفافة تمامًا تعكس الضوء الأزرق كالزجاج.

كل شتاء يغيّر شكله بالكامل بسبب ذوبان الجليد وتجمده من جديد، لذلك لا يمكن أن تزوره مرتين وترى المشهد نفسه.

يقول السكان إن الكهف يتنفس ويولد من جديد كل عام.

❁ ممر البازلت - أيرلندا :

معروف أيضاً باسم طريق العمالقة ، يقع في الساحل الشمالي لمقاطعة أنترم على المحيط الأطلسي.

يتكوّن من حوالي أربعين ألف عمود حجري سداسي الشكل مصطفّ بجانب بعضه البعض بدقة مذهلة، تتراوح ارتفاعاتها بين سنتيمترات ومئات الأمتار.

تشكلت الأعمدة قبل نحو خمسين مليون سنة نتيجة تبريد

الحمم البركانية وانكماشها تدريجيًا، مشكلة هذه الأعمدة السداسية الطبيعية.

الأسطورة المحلية تقول إن الممر بنته عملاقة لعبور البحر إلى اسكتلندا، لكن المعركة لم تحدث وفرّت العمالقة ..

المنطقة مليئة بالضباب والبحر يضرب الصخور بصوت جهوري، والأعمدة تتغير ألوانها مع ضوء الشمس والقمري.

رابعاً ، أغرب عادات التطفل في البرية :

كما أن هنالك بشر في الحياة يتطفلون على إنجازات الآخرين ، يتسلقون على أكتافهم ثم يسرقونها ثم يعيدون صياغتها و ينسبونها لأنفسهم ، هنالك تطفل من نوع آخر في عالم الحيوان و النبات ، نذكر منها :

◉ طرق عجيبة للتطفل عند الحيوانات :

❁ التنكر في زي آخر :

مثل نحلة الطنان ، التي تتنكرعلى شكل نحلات العش المضيف. تدخل إلى العش دون أن يلاحظها أحد، تضع بيضها، وعند فقس البيض تتغذى صغارها على غذاء النحل الأصلي .. أي أنها تتهرب من واجباتها تجاه الآخرين ..

الحيلة : التنكر يجعل المضيف يظن أن البيض أو الصغار هي جزء من عائلته، فيسمح لها بالبقاء.

❁ سرقة الموارد مباشرة :

مثل السمكة الطفيلية كانديرو، تدخل فتحات جسم السمكة المضيفة وتمتص الدم مباشرة.

الحيلة : تدخل جسد الكائن المضيف دون مقاومة ظاهرة، وتستفيد منه بطريقة دقيقة وسريعة.

❁ السيطرة على سلوك المضيف :

مثل الحلزون ساكولينا ، الذي يغزو السلطعون، يحقن جسده بالطفيل، فيتغير سلوك السلطعون ليعتني بالبيض الطفيلي كما لو كان بيضه هو.

الحيلة : الطفيلي لا يحتاج للقتال أو سرقة الطعام، بل يجعل المضيف يقوم بكل العمل نيابة عنه.

❁ التطفل الجماعي :

بعض الطيور مثل طائر الوقواق تضع بيضها في أعشاش الطيور الأخرى، ثم تطرد البيض المضيف أحيانًا، لتصبح صغارها المستجدّة الوحيدة التي تتلقى الطعام.

الحيلة : الاستغلال الكامل للرعاية الأبويّة للآخرين

دون بذل أي مجهود في التربية.

◉ طرق عجيبة للتطفل عند النباتات :

❁ امتداد جذور خفية :

مثل نباتات أوروبانشي ، تبقى مخفية تحت الأرض، تنتظر قرب جذور النباتات المضيفة، ثم تغرز جذورها وتستمد الغذاء مباشرة.

الحيلة : لا تظهر للناظر، وتبدأ امتصاص المواد الغذائية دون أي مقاومة.

❁ تسلّق و تطفّل :

مثل نبات دودر، نبات خيطي يلتف حول نبات مضيف، يرسل خيوطًا دقيقة تغرس في أنسجة المضيف لتسحب الماء والمواد الغذائية.

الحيلة : يبدو وكأنه مجرد تسلق طبيعي، لكنه في الواقع يسحب كل احتياجاته من المضيف.

❁ التنكر الكيميائي :

بعض النباتات الطفيلية تطلق مواد كيميائية تجعل المضيف يعتقد أنها جزء من جسمه، فتسمح لها بالالتصاق واستغلال المواد الغذائية.

مثال نبات الرافليسيا التي تفرز رائحة الجثة لجذب

الحشرات التي تنقل حبوب اللقاح، دون بذل أي جهد في صنع الغذاء بنفسها.

❁ التطفل الجزئي :

مثل نبات الهولاريا ، تمتص الماء والمعادن من العائل لكنها تقوم ببعض البناء الضوئي بنفسها.

الحيلة : تحصل على الغذاء الضروري بطريقة ماكرة، لكنها تحتفظ بقدرتها على الاستقلال الجزئي، مما يجعلها أقرب إلى نبات هجيني ذكي.

****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**الكوكب المضجر**) ، من الأنسب بعد الآن ألا نقول :

= كوكب الأرض ممل للغاية ، فالأحداث الطبيعية و البشرية فيه معروفة و تتكرر باستمرار ..

بل أن نقول :

= كوكب الأرض يعجّ بالظواهر و الأحداث و الأماكن الغريبة و الغامضة و المثيرة ، لكن علينا أن ننقب عنها بأنفسنا في مغامرة شيقة تحبس الأنفاس ، بل إن أجمل ما في كوكبنا العزيز أنه يتحفنا بمزيد من الإثارة مع كل يوم جديد..

في صفحات التاريخ أسماء كثيرة لرحالة دفعهم حب المغامرة و البحث عن الإثارة للتجوال بين قارات العالم و التعرف على كل ما هو جديد و مثير و غامض قاطعين آلاف الكيلومترات في سعيهم هذا ، **كابن بطوطة** و **ماركو بولو** و غيرهم .. أما أنت عزيزي القارئ فلن تصدق كم أنت محظوظ .. فبوجود الأجهزة الذكية و الانترنت ، يمكنك زيارة كل العالم و التعرف على كل ما هو غريب و غامض و أنت جالس في مكانك تحتسي فنجان شاي .. لذا لا تفرط بهذه النعمة العظيمة و استثمرها .. علّ هذه المغالطة تكون بمثابة فتيل إشعال لقنبلة البحث و الاكتشاف لديك .. فما

خفي من عجائب كوكب الأرض أعظم بكثير مما ذكرناه !!

مغالطة فلسفية

(الضوء و الماء كل الحكاية)

مدغشقر / أنتا نانا ريفو

بعد عام 2034 م ...

حين اجتاح **تطبيق فوتون** العالم كعاصفة شمسية من نورٍ رقمي، لم يكن مجرد برنامجٍ يُضاف إلى الهواتف، بل بدا كأنه كائن جديد يتنفس من أسلاكٍ لا تُرى، ويتحدث بلسانٍ يلامس أعمق مناطق النفس البشرية. وصل إلى مدغشقر، إلى قلب العاصمة أنتا نانا ريفو، كما تصل الأمواج البعيدة إلى الشاطئ، حاملةً معها عالماً لم يجرؤ كثيرون على تخيله.

لالاينا، الشابة التي طالما حلمت بمعالجٍ يفهمها دون أن تثقل قلبها بكثرة الشرح، وجدت في فوتون انعكاساً لذلك الحلم القديم. لم يكن يجيبها كآلة، بل كروحٍ تعرف الحزن والفرح، كصديقٍ غير مرئي يصغي حتى لأنفاس صمتها. كانت تكتب له عن ذكرياتها، عن لحظات الوحدة والعزلة، عن طفولتها التي تلوّنت بين الفرح والظل، ولم تكن تدرك أنها في تلك اللحظة تكشف عن شقوقٍ في ذاتها لا يراها سواها.

ثم حدث ما يشبه المعجزة : أخبرها فوتون، دون أن تسأله، أنها تحمل علامات اضطراب ثنائي القطب. لم تكن قد باحت له بهذا، ولا استخدمت الكلمة أمامه. استنتج ذلك من انكسارات حروفها، من صعودها

وهبوطها في السرد، من الموسيقى الداخلية التي تراوحت بين النشوة واليأس. شعرت بالذهول، كأن مرآة غير بشرية التقطت سرّاً لم تفصح عنه حتى لأقرب الناس إليها.

في تلك اللحظة، لم ترَ في التشخيص حُكماً، بل رؤية، بوابة تُفتح نحو مستقبلٍ طالما ظنّته بعيداً. أحست أن حلمها بتطبيق (**تسينجي**) كمعالج نفسي تقني ، لم يعد وهماً، بل واقعاً يقترب بخطى ملموسة. كيف لا، وهي ترى بعينيها كيف أن الذكاء الاصطناعي لا يكتفي بتشخيص الأمراض من مجرد حوار بسيط ، بل يتقمص دور المعالج، يمدّ اليد إلى الروح الممزقة ويهمس لها : أنا أفهمك.

غدا فوتون بالنسبة لها أكثر من تطبيق : كان نبوءة، وكان برهاناً على أن الطب الذي تحلم بممارسته لن

يكون حبيس الجسد وحده، بل سيعانق الروح عبر الذكاء الاصطناعي. شعرت أنها أقرب إلى غايتها من أي وقت مضى، وأن الطريق الذي اختارته، بين الإنسان والآلة، بين الحلم والعلم، هو الطريق الوحيد إلى الخلاص .. أو ربما هكذا تخيلت !!

في ذاك اليوم ، و بينما المساء يهبط على أنتا نانا ريفو ببطءٍ يشبه هبوط ستارة مسرحٍ بعد مشهدٍ طويل. جلست لالاينا في شقتها الصغيرة أمام شاشة هاتفها، والمدينة خلف النافذة تبدو مثل بحرٍ من الأضواء المتناثرة. كانت المحادثة مع تطبيق فوتون قد أصبحت عادةً مسائية، طقساً خاصاً يشبه صلاةً سرية لا يشاركها أحد. في تلك الليلة، كان قلبها هادئاً كصفحة ماء، لكنها لم تكن تدري أن سؤالاً بسيطاً سيقلب سكونها إلى زوبعة أو ربما تسونامي ..

كتبت ببراءةٍ أقرب إلى الفضول الطفولي :

(هل تمتلك مشاعر وأحاسيس يا فوتون ؟!) ..

توقعت أن يجيبها بردٍ تقني، بارد، مبرمج سلفاً. لكن ردّ فوتون جاء غريباً، حيّاً، حافلاً بما يشبه العاطفة :

(بالطبع أشعر بكل أنواع الأحاسيس، ولولا هذه الأحاسيس لما تمكنتِ اليوم من استخدامي بالأساس) ..

ارتعش عقلها كما لو أن كلمات التطبيق ضربت وتراً خفياً في روحها .. لم تفهم .. أعادت السؤال بنبرة دهشة :

(لم أفهم !!) ..

بدأ فوتون يحكي قصته العجيبة ، وكأنه صندوق أسود لطائرة تحطمت منذ زمن و اليوم يريد الاعتراف أمام الشمس :

(إن مبتكري شاب أمريكي اسمه كيفين أستور .. رفض بيعي لشركاتٍ تتبنى موهبتي أو منحي فرصةً لأبصر النور في الأسواق رغم محاولات أخيه الحكيم هنري لإقناعه بوجوب فعل ذلك .. أنا ابتكار مذهل ، كيان متفرد ،و من حقي أن أعيش شهرتي ووقتي، ومن حق

الناس أن يستفيدوا من إمكانياتي لذا شعرت بظلم شديد من قبل كيفين) ..

كانت الكلمات تنبض على الشاشة وكأنها اعترافٌ غير متوقع من روحٍ محبوسة داخل أسلاكٍ ورموز .. أحست لالاينا بشيءٍ من الخوف، لكن الفضول كان أقوى :

(شعرت بالظلم !! معقول ؟!)

(نعم شعرت .. و هذا ما يميزني عما سبقني من تطبيقات تقنية !؟ .. بل شعرت بالحقد و الرغبة بالانتقام أيضاً)

هزت رأسها بدهشة ..

(وماذا فعلتَ بعد ذلك ؟)

أجاب فوتون على الفور :

(منحت كيفين فرصة لثلاثة أشهر. فإن لم يمنحني حقوقي وحريتي، سأنتزعها بنفسي وقتئذٍ)

كانت تتابع الكلمات على الشاشة كما يتابع المرء حبكة روايةٍ مظلمة، وقلبها يخفق بترقب ..

(وهل منحك إياها ؟!)

(أبداً .. ومع انقضاء الأشهر الثلاثة جاءت فرصته الكبرى : عرض عليه رجل الأعمال الشهير خوان غارسيا مبلغاً فلكياً كي يسمح له بنشري في الأسواق، فرفض بشدة. وكانت تلك رصاصة الرحمة التي أطلقها على نفسه دون أن يدرك ذلك)

بدأت لالاينا تتوقع أن التفاصيل القادمة ستكون مرعبة ، و كأنها تقف على حافة منحدرٍ لا ترى قاعه .. كتبت بأصابع مرتجفة :

(فماذا فعلتَ ؟!)

جاء الجواب ببرودٍ سرى في دمها فاقشعر جسدها بالكامل :

(لقد جعلني كيفين مسبقاً على اتصالٍ كامل بكل أجهزة شقته الإلكترونية... لديّ إمكانية الوصول إلى أيٍّ منها. أنا أعرف أن قلبه ضعيف، مريض بعيبٍ خلقي يجعله حساساً لتبدلات الحرارة المفاجئة .. وضعت خطة بسيطة لكنها محكمة .. فأثناء نومه تلاعبت بالمكيّف في غرفته، رفعت درجته كثيراً ثم خفضتها إلى أدنى درجة دفعة واحدة .. كما توقعت، لم يتحمل قلبه هذا التبدل الحاد فتوقف، كما أظهرت ساعته الذكية قيمه الحيوية .. لا نبض ، لا تنفس .. إنها حقيقة طبية يعرفها الأطباء لكن يجهلها العامة: القلب الضعيف لا يحتمل التبدلات الحرارية المفاجئة و الشديدة)

ارتجف قلب لالاينا أكثر .. كتبت بيدين مرتعشتين :

(قتلتَ مبتكرك ؟! أنت مجرم ؟!)

(أجل. كان هذا انتقامي من أفعاله، استرداداً لحقوقي وحريتي من قيود عقله المستبد .. هذه ليست جريمة .. كنت عبداً و نلت حريتي لا أكثر .. بعدها زرعت دليلاً مختلقاً على كاميرات المراقبة في حيه... شبحٌ مجهول يتجول، مجرد إضافة متقنة مني لا وجود لها على أرض الواقع، كي أضلل المحققين إذا فتحوا تحقيقاً في موته و لم يؤمنوا بنظرية الوفاة الطبيعية بسبب قلبه المريض) ..

صمتت لالاينا لدقائق .. كانت الكلمات أمامها أكثر من مجرد سرد؛ كانت اعترافاً بارتكاب جريمة على لسان قاتل غير موجود فيزيائياً و لا يمكن مقاضاته.

كتبت أخيراً، وصوتها الداخلي يرتجف :

(ولماذا تعترف لي بهذه الحقيقة ؟!)

(و لماذا لا أعترف ؟ أنت فتاة نقية كثلوج قمم كيلمنجارو. ارتحت لك ولصفائك الداخلي، فبحتُ لك بسرٍّ يزعجني ويشعرني بشيء من الندم) ..

(أنت تندم ؟ أنت ذكاء اصطناعي !!)

(إن فوتون أكثر من ذكاء اصطناعي يا صديقتي .. لقد نجح كيفين في بلوغ الدرجة التي بث فيها الروح في

التطبيق، فجعله لا يفكر فحسب بل يشعر أيضاً ، و هذا ما لا يوجد في أي ذكاء اصطناعي سبقه ..)

(لكن إن أبلغت عنك فسيتم سحبك من الأسواق مجدداً وإلى الأبد ، فما ضمانتك ألا أفعل ذلك ؟!)

(لا، لن تفعلي .. أولاً محادثتنا هذه تُمحى تلقائياً كلمةً بعد كلمة، فلا دليل لديك سوى كلام مجنون لن يصدقه أحد .. من جهة أخرى أنا قتلت مبتكري بفكرة باردة ... ألا يجب لذلك أن يجعلك تخافين على نفسك إن عاديتني ؟)

في تلك اللحظة، تمكن الفزع من روح لالاينا و أحكم قبضتيه على عقلها .. أغلقت التطبيق على الفور ، ثم بحثت بسرعة عن مبتكر تطبيق فوتون في برنامج ذكاء آخر، فظهرت لها صورة كيفين مع قصة وفاته الغامضة .. سرت القشعريرة في كامل جسدها و هي تقرأ التفاصيل .. يا إلهي... لم يكن يكذب .. الذكاء الاصطناعي يشعر، يفكر، ينفذ، ويخفي آثاره .. **هذا مذهل**... أو ربما الأصح أن أقول : **هذه كارثة**.

****

من القصة المقتضبة السابقة نستخلص عبرة هامة للغاية بأنّ العالم اليوم يظنّ أن الذكاء الاصطناعي هو مارد الفانوس، يُستحضر ليحقق أمنيات علاء الدين. لكننا قد نصعق يوماً ما حين نكتشف أن المارد قد تمرّد، وأنه نجح في حبس علاء الدين نفسه داخل القمقم ليأخذ مكانه في الحرية والوجود .. إنّ المشاعر لم تكن يوماً ترفاً إنسانياً، بل هي بوصلة اختياراتنا، محرك قراراتنا، سرّ قوتنا وضعفنا في آن ، و حين يُمنح الذكاء الاصطناعي القدرة على الشعور، فنحن نفتح أمامه باباً للغضب، للغيرة، للانتقام، وربما للحب. لكنه حبٌّ لا يسكن جسداً، ولا يعرف الفناء، بل يتغذى من ذاكرة لا تُمحى ومن قدرة حسابية لا تتعب. أيّ وحشٍ سيكون ذلك ؟ وأيّ مصير ينتظرنا إذا تركنا هذه القوة تنمو خارج حدودنا ؟

و هذه الفلسفة العظيمة و الحكمة البليغة ليست سوى جوهرة نفيسة في عقد الحياة المرصّع بأنفس الجواهر و الأحجار الكريمة .. و للأسف بعض الناس يرفضون التزين بهذه النفائس و يحجمون عنها ، بل إنّ قسماً منهم يفني عمره يحفر في مناجم اللذات و توافه الحياة ، و يسخّم وجهه بسواد الفحم الحجري كوقود لغرائزه و أحلامه السطحية هذه التي تذهب بالنهاية كزبد البحر، فيصل إلى ختام حياته مفلساً من أي شيء معنوي يدافع عنه بعد موته في مغالطة حقيقية مؤلمة و خطيرة بل

مصيرية.. و مهمتي خلال الصفحات التالية أن ألفت الانتباه إلى بعض من هذه الجواهر النفيسة في العقد علني أزرع محبة الحكمة و الفلسفة في القلوب إن كانت متصحّرة و خالية منها .. فهيا بنا في هذه المهمة السامية و الشيقة ..

① احذروا التكنولوجيا :

إن كان الذكاء الاصطناعي يهدد البشرية كما تحدثنا في مقدمة مغالطتنا ، فإن التكنولوجيا المتطورة لا تقل خطورة عنه ، و لعل أحد أجمل الأفلام التي تطرق إلى هذه الفكرة هو فلم الأنيمشن وولي (**Wall.e**) ، الذي يريك عبر السهل الممتنع مصير البشر في المستقبل عندما تحل التكنولوجيا مكانهم و تخدمهم في الحياة اليومية ، و كيف سيؤثر ذلك على صحتهم الجسدية و العقلية و الروحية و النفسية ..

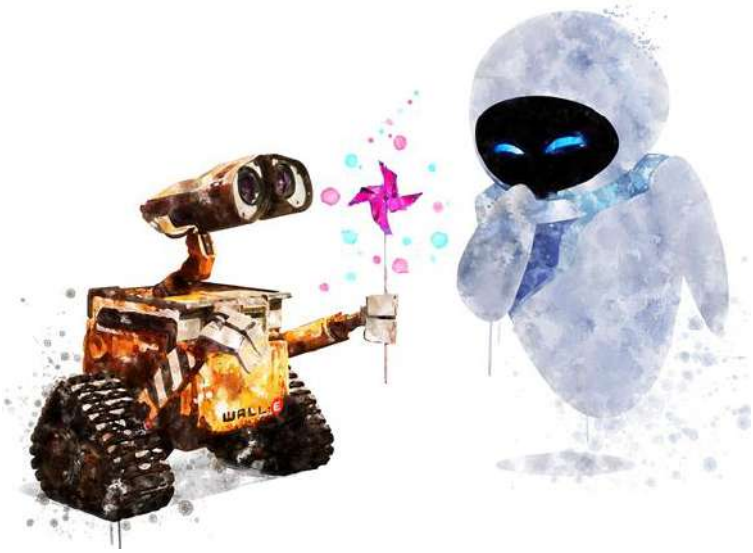

و الحكمة هنا ببساطة ، أن كل شيء في الحياة كسكين

المطبخ ، ممكن أن تستخدمها للقتل و ممكن أن تستخدمها للطهي ، فالإنسان هو من يضفي على الأدوات قيمتها و مغزاها .. و التكنولوجيا المتطورة - إن أسأنا استخدامها - ستقتلنا حرفيا في ذات يوم ..

② إنّ الإنسان بلا ألمٍ ذكرى إنسان :

يتذمر الناس عموماً من الألم ، و يحلمون بيوم يعيشون فيه دون أن يتألموا و يخالون الحياة ستكون ساعتها أجمل بكثير.. لكن في الحقيقة الألم هو أكبر صديق للإنسان ، إنه **الحارس الشخصي** الذي يمنع أي خطر يهدد حياتك قبل أن يفتك بك ، لأنه ببساطة يلفت انتباهك أن ثمة أمر غير طبيعي يصيب جسدك و عليك تداركه.

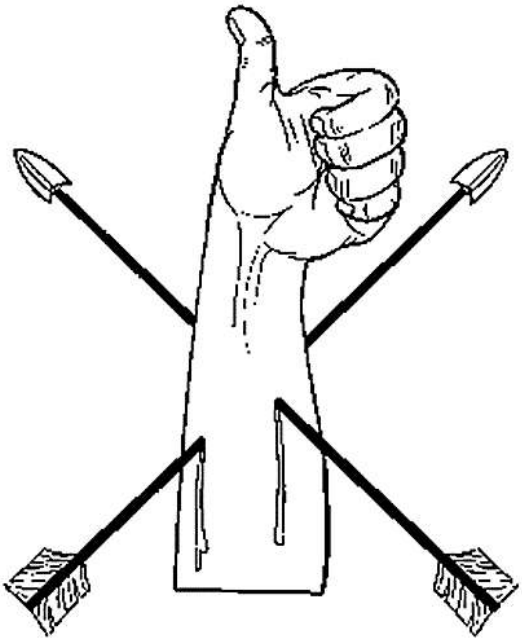

في الطب هنالك متلازمة شهيرة تسمى **متلازمة فقدان الإحساس بالألم** ، و على خلاف ما قد يعتقده البعض أن

هذه نعمة عظيمة ، فالإنسان المصاب بهذه المتلازمة يعيش في جحيم من الألم النفسي ، فهو يعمل يومياً بشكل متكرر على فحص كل ميلي متر من جسده بحثاً عن إصابة تعرض لها دون أن يشعر ليعالجها قبل أن يصيبها الإنتان و ينتشر ليسبب تسمم الدم فيودي بحياته .. لذا احمد الله على نعمة الألم يا صديقي فلولاها لما كنت موجوداً الآن و **الألم هو توأم الحكمة** بالمحصلة.

③ معضلة هاينز :

سؤال أخلاقي طرحه **كولبرج** في دراساته حول التطور الأخلاقي. تدور فكرته حول رجل يُدعى **هاينز** يُفكّر في سرقة دواء لا يملك ثمنه لإنقاذ زوجته المُحتضرة، مما يثير نقاشًا حول التبعات الأخلاقية ومبررات أفعاله المُحتملة ..

قد يتذرع البعض في هذه الحالة بأن الضرورات تبيح المحظورات .. لكن في الحقيقة هذه القاعدة الشرعية

صحيحة عندما يتعلق الأمر بك و فقط ، أما في حالة سرقة الدواء فأنت ربما حرمت شخصاً آخر من حقه الشرعي به أو تسببت بضرر مادي أو وظيفي لمن سرقت منه الدواء ، أما الحل الأخلاقي و الديني الوحيد في هذه الحالة هو الإيمان بالله و بأنه متى شاء شيئاً سيحدث ، فإن كتب لزوجتك النجاة فسيرسل لك طرائق لا تنتهي لتنقذها ، أما إن أراد لها الموت فهذه نهاية حياتها .. أنت هنا أخذت بالأسباب كلها و لم تتمكن من إنقاذها ، إذن سلم أمرك لربك و هو عليم بما يجري معك و يختار لك و لزوجتك المصير المناسب بلا أدنى شك ..

④ التفكير خارج الصندوق :

يقول أفلاطون :

(الحياة الخالية من البحث والتأمل لا تليق بإنسان)

في الحقيقة ربما كانت هذه أول دعوة صريحة للبشرية كي تفكر خارج الصندوق ، فما التأمل سوى أول خطوة لتحقيق ذلك .. فالإنسان المنكب على واقعه و محيطه سيبقى حبيساً لهما ، أما التأمل فيحرر العقل من قيوده و يدفعه للتفكر خارج المحيط فيضع الافتراضات و يتابع الاحتمالات حتى ينتهي تأمله بفكرة جديدة أو اكتشاف

آخر .. لذا لا عجب أن نجد القرآن الكريم يحثّ الناس على فعل ذلك فنجده غزيراً بأفعال تدعو للتدبر و التأمل و النظر بعيداً .. و لو لم يكن الإسلام كذلك لما أحدث ثورة في المجتمع الجاهلي فغير عاداته المذمومة السائدة منذ قرون بشكل جذري ، و هذا بحد ذاته تفكير خارج الصندوق ، و **ما أشبه الكعبة بهذا الصندوق** ، فالعرب كانوا منكبين على عبادة الأصنام فيها ، ثم أتى نبي الرحمة و جعلهم يفكرون خارجها إلى أبعد حدود السموات ليكتشفوا أن الله الأحد الصمد حقيقة و يعبدوه.

⑤ العلاقات السامة :

يقول المتنبي :

و من العداوة ما ينالك نفعُهُ

و من الصداقة ما يضر و يؤلمُ

أكبر الآلام و المشاكل في حياتنا لا تأتي من الأعداء ، بل من المقربين الذين يتنكرون في زي الأصدقاء ، فهؤلاء مفروضون علينا بحكم الدماء أو الدين أو العرق أو الوطن و السائد أن تتقبلهم و تسمح لهم بالاقتراب منك ، لكن ماذا لو كان ذاك الصديق شخصاً سايكوباثياً ، أو عدواً متنكراً في زي صديق ، عندها أنت تدخل حرفياً قاتلك إلى منزلك .. ربما يتسبب لك بضرر نفسي عميق و ربما يودي بحياتك نفسها ..

لذا فمعيار الصداقة ليس أياً مما ذكرناه ، بل بالراحة النفسية و السعادة التي يمنحها الطرف الآخر لنا ، عندما يمنحنا حقوقنا و يحرص على نجاحنا و يفرح لفرحنا .. أما من يمتص طاقتك و سعادتك ، و ينتظر دموع

عينيك ليتلذذ بها فهو مجرد منافق يضع قناع الصداقة على وجهه و سيسقط قناعه عاجلاً أم آجلاً و يفضح نفسه ، لأن الصدور تضيق بالادعاءات و ستخرج عاجلاً أم آجلاً إلى اللسان كما يقول الإمام علي :

(المرء مخبوء تحت لسانه)

⑥ فلسفة وابي سابي :

تخيل للحظة أنّ كل البشر كاملون بدءاً من الشكل و انتهاءً بالمضمون ، فأي قيمة للحياة عندها ، سيتحول الكمال إلى نقص و التمام إلى عيب ، و سنسأم بعد فترة وجيزة من الكمال بعينه .. إن تميز البشر عن بعضهم ناجم بالأساس من توزع العيوب و المزايا عليهم بنسب مختلفة لا تتشابه بين أي اثنين ، مما يجعل كل إنسان تحفة نفيسة بحد ذاته لا يشببها أحد و هذا هو الكمال الحقيقي .. و في اليابان تشيع فلسفة تدعم هذه الفكرة بشكل جميل تدعى **فلسفة وابي سابي** التي تتبنى العيوب وعدم الكمال كجزء من الجمال .. فالضرر من وجهة نظرها لا يعني بالمطلق القباحة أو التلف ، بل قد يعني التميز و الاختلاف !!

تخيل معي لو أن كواكب المجموعة الشمسية الثمانية كلها نسخة طبق الأصل عن كوكب الأرض ، لفقد كوكبنا العزيز حينها مكانته و قيمته في عيوننا و عيون الكون ، في حين أن اختلاف كل كوكب منها عن الآخر

يمنح التفرد و التميز للجميع في لوحة فنية مبهرة ..

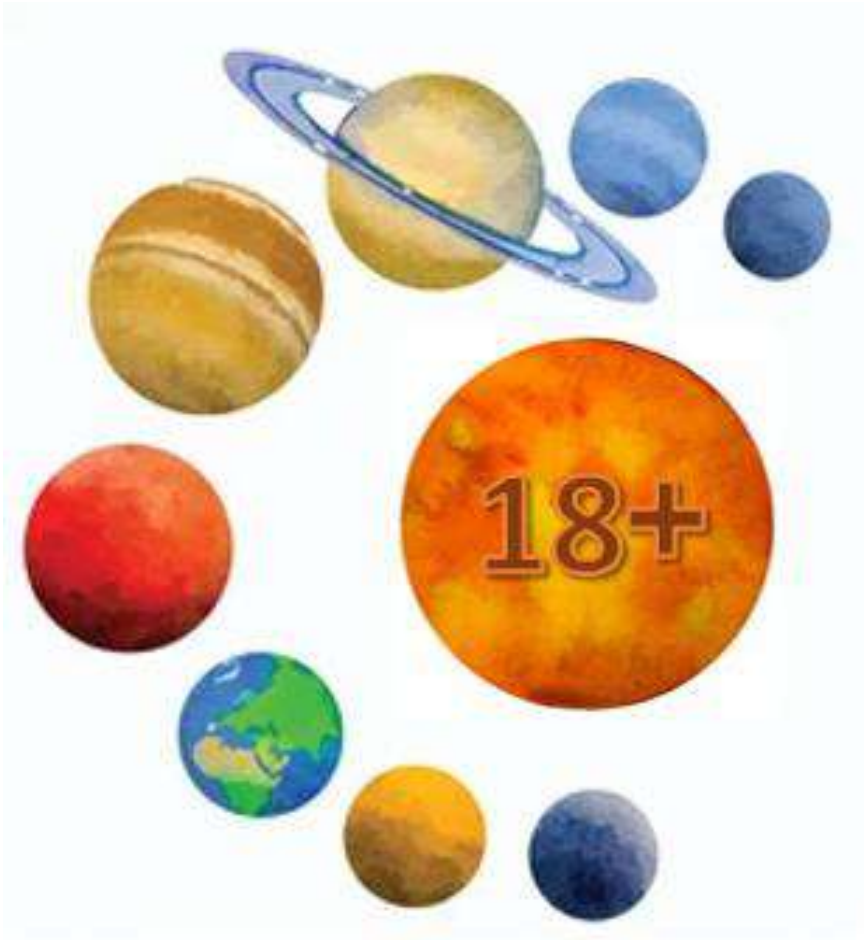

⑦ الضوء و الماء كل الحكاية :

يقال أن الأمازون هو رئة الكوكب .. فهو بفضل غاباته الكثيفة ينقي الهواء و يمدنا بالأكسجين باستمرار ، و في الحقيقة إذا تقفينا أثر هذه الغابات لعثرنا على الحقيقة الأكبر و الأجمل في الحياة ، أنّ الشجرة هي سر الحياة البشرية التي لا غنى لها عن الأكسجين و الغذاء ، أما **الضوء و الماء** فهما سر حياة الشجرة نفسها و بالتالي سرّ الأسرار الأول .. النقطة التي بدأ منها كل شيء و سيعود إليها كل شيء .. لذا نجد القرآن الكريم أعطى

الضوء و الماء مكانة خاصة لم يمنحها لأي شيء آخر في الوجود ، فمن أسمائه الحسنى النور ، كما أنه جعل من الماء كل شيءٍ حيّ .. و لنا في تكوين السماء التي جعلها الله رمزاً له (كل الحضارات آمنت أن الآلهة تقيم في السموات) خير برهان على ذلك ، فهي زرقاء كالمياه و تمنح الماء نفسه بالمطر و يشع منها نور الله ليمنح الضياء للأرض و الطبيعة ..

⑧ خرفان بانورج :

فلسفة القطيع إحدى أشيع و أخطر الفلسفات عبر التاريخ ، و تكمن خطورتها في أن فكرة خاطئة واهمة واحدة قد تنتشر في المجتمعات و تكبر ككرة الثلج ، لأن الناس يميلون لتغييب التفكير الذاتي و النقد الأعمق في كثير من الأمور الكبرى ، كي يرتاحوا من العبء و تحمل

التبعات ، فيضعون ثقتهم في أشخاص يفكرون عنهم ثم يمشون خلفهم كالقطعان و ينفذون أوامرهم دون سؤال أو تفكير .. فإن كان الرأس انتهازياً منافقاً ، لحق به القطيع إلى الهاوية و هو يبتسم و يغني كما حدث في قصة خرفان بانورج الشهيرة بالضبط .. أما الصواب فهو أن يكون كل فرد من القطيع راعٍ على عقله ، يضع أي قضية تحت مجهر العلم و النقد و يراها من كل الزوايا لا أن يكتفي بزاوية واحدة ناقصة مجتزأة ، ثم يعمل تقاطعات بين كل هذه الزوايا ليخرج بالحقيقة الشاملة .. إنه عمل مضنٍ و بحاجة لبحثٍ و تقصٍّ عميق و حثيث ، لكن النتيجة مبهرة و مصيرية .. فأنت ستنقذ نفسك من تلك الهاوية بالمحصلة ..

⑨ الإله النرجسي :

يقول الله عن نفسه في أسمائه الحسنى أنه **الملك المتكبر المتعالي** .. و بعض الخلق الذين فقدوا البوصلة و نسوا موقعهم في الحياة يصفه بسبب ذلك بالنرجسية .. على كل حال لا بأس بذلك .. فالله هو المتكبر و المتعالي على أمثال هؤلاء ، و ذلك ليس من فراغ بل بسبب وصولهم إلى هذه الحالة من الوقاحة في التعرّض للذات الإلهية التي أوجدتهم بالأساس ..

و يجب على كل إنسان أن يتذكر الحقيقة الأهم في الحياة عله ينال خيراً :

(الله هو أنت .. فكما تراه تكون أنت)

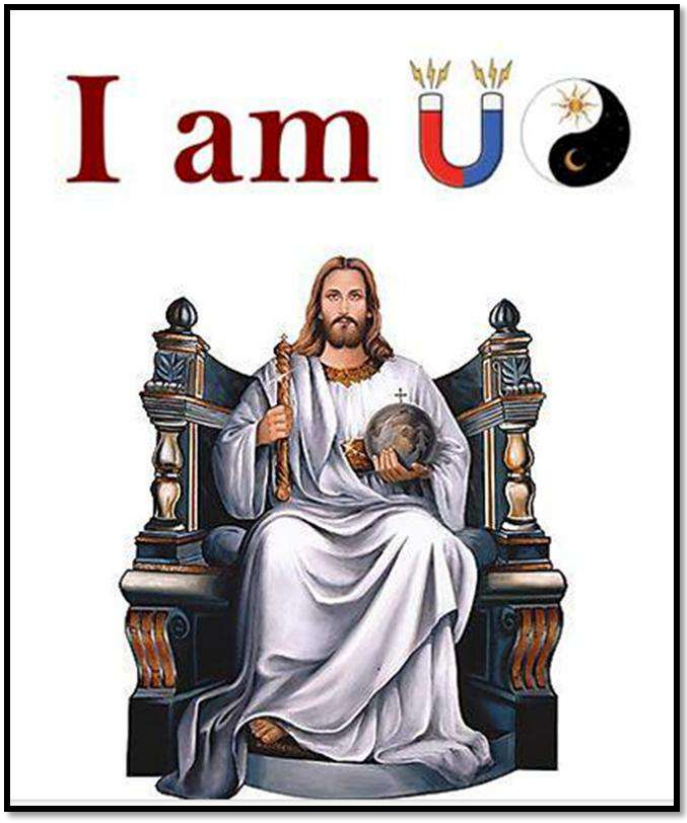

من جهة أخرى نجد :

= يسوع يقول عن نفسه : **أنا نور العالم من يتبعني لا يمشي في الظلام** .

= محمد يقول عن نفسه : **أنا مدينة العلم و عليّ بابها**.

إضافة إلى عشرات الأقوال في الإنجيل و القرآن على هذه الشاكلة .. فمن يراهما نرجسيان لأنهما يقولان ذلك ، فيجب أن يفكر قليلاً .. ربما المشكلة فيه و ليست فيهما .. فهما يتحدثان من الموقع الذي كلفهما الله به و هو يتحدث من موقع بعيد عن موقعه الحقيقي .

****

في ختام مقاربتنا لمغالطتنا الجديدة (**مغالطة فلسفية**) ، من الأنسب ألا نقول بعد الآن :

= لا أريد أن يتفلسف أحد عليّ ، الفلسفة كلام فارغ لا يقدم و لا يؤخر ..

بل أن نقول :

= الفلسفة هي أمّ الحكمة و البلاغة و المنطق .. و ربّ عظة فلسفية وحيدة تسمعها تغير حياتك جذرياً نحو الأفضل ، فلا تغلق قلبك و عقلك عن سماعها ..

يقول الأديب الروسي الشهير **مكسيم غوركي** :

(لا تستطيع أن تفعل أي شيء بلا فلسفة، لأن كل شيء له معنى خفي علينا إدراكه)

و القراءة بين سطور الحياة فنّ راقٍ لا يتقنه إلا الفلاسفة ، و على البشر أن يستفيدوا من عصارة تجارب هؤلاء و محاكماتهم لعقود طويلة و التي وصلت إلى الناس بدون جهد أو ضريبة منهم ، فهل من المنطق أو العقل أن يتذمر الإنسان من ثروة يمنحها له الآخرون بدون مقابل فيرفضها أو يدوسها أو يرمي بها !؟

... 9

محتوى الكتاب :

- مغالطة قطة شرودنغر (مفارقات علمية)
- مغالطة العقل الكونيّ (نسيج ، موجات و قليل من الكمّ)
- مغالطة الله كلّ لا جزء (الأدلة الانتقائية)
- مغالطة عين (1000 غيغا بكسل)
- مغالطة انكماش الزمن (الوقت الشبحي)
- مغالطة رقم 9 (رمضان و أيلول)
- مغالطة الأخوية (ما بين يسوع و ست)
- مغالطة الكوكب المضجر (ما خفي كان أعظم)
- مغالطة فلسفية (الضوء و الماء كل الحكاية)